تواصل
مؤسسة تواصل للدراسات والتوعية الثقافية

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

المجلة المصرية للعلوم الاجتماعية والسلوكية

مجلة علمية نصف سنوية - محكّمة

ISSN: 2682 - 2725

ارتباط الزيارات الصحية الدورية بمتوسط عمر المرأة المتوقع
Gallup Blog

دور التحول الرقمي في تطوير أداء إدارة الموارد البشرية: دراسة ميدانية
محمد عبد السلام عبد الله

ريادة الأعمال من منظور اجتماعي: قراءة حول المفاهيم والمداخل النظرية
مي علي سليمان

مقاربة نظرية لدور الإعلام في تنمية الوعي بالأمن ومحاربة أشكال الإرهاب
أسماء بلعالية دومة

هارتموت روزا» صدى الرنين: النظرية النقدية كعلم اجتماع العلاقات العالمية
سهير صفوت

الإيمان بنظريات المؤامرة: المبادئ الأساسية لمجال بحثي مستجد
چان ويليم فان برويجن - كارين م. دوغلاس

تأثير استخدام التكنولوجيا الرقمية على الهوية المصرية: دراسة ميدانية على عينة من الشباب الجامعي
منار على محمود محمد

العصبية القبلية: تحليل أنثروبولوجي لجمعيتين قبليتين بمحافظة السويس
علياء محمد عبد الغني

عرض الكتب Book Reviews
سهير صفوت

حوار الأجيال د. على عبد الرازق جلبي
المحاور: سارة البلتاجي

المحرر
د. محمد أبو العينين

رئيس التحرير
د.عبد الحميد عبد اللطيف

العدد الثامن
اكتوبر ٢٠٢٣

«هارتموت روزا» صدى الرنين: النظرية النقدية كعلم اجتماع العلاقات العالمية

سهير صفوت

أستاذ النظرية الاجتماعية – كلية التربية – جامعة عين شمس

ملخص:

إن هدف «هارتموت روزا» من مشروعه هو نقد المجتمعات الحداثية المتأخرة، والتأسيس لعلاقة أصيلة مع العالم بعد أن هلكت هذه العلاقة وتآكلت نتيجة «للتسارع»، فما يميز المجتمعات الحديثة هو تسارع إيقاع الحياة الذي يرجع إلى تزايد هائل في معدل التسارع التقني في الوقت الذي يتقلص فيه الزمن، إذ تعيش أغلبية الذوات في الحداثة المتأخرة تجربة الافتقار إلى الزمان وما يترتب عليه من قلق، وهذه المظاهر يعدُّها «هارتموت روزا» أشكالًا سلبية من التسارع، لذلك أسس لسوسيولوجيا معيارية غرضها الكشف عن أشكال الاغتراب والأمراض المتمخضة عن تحولات الزمن داخل هذه المجتمعات. بيد أن علاج ما يخلفه التسارع من أمراض واغتراب ليس التباطؤ بل ينبغي التفكير فيما وراء مفهوم الزمن بحثًا عن إرساء علاقة أصيلة بالعالم، لذلك اقترح مفهومًا جديدًا هو «الصدى». فالصدى بما هو عكس لعملية التسارع وعلاج لها لا يعبر عن علاقة الذات بالزمن بل علاقتها بالعالم.

الكلمات المفتاحية: صدى، تسارع، حداثة متأخرة، العالم، اغتراب.

Hartmut Rosa's Echo Resonance: A Crucial Element in the Theory of Global Social Relations

Sohier Safwat

Professor of Social Theory - Faculty of Education - Ain Shams University

Abstract:

Hartmut Rosa`s goal in his project is to criticize late modern societies and establish an authentic relationship with the world after this relationship perished and eroded because of «acceleration.» What distinguishes modern societies is the acceleration of the pace of life due to a tremendous increase in the rate of technical acceleration in time. Time shrinks, as most subjects in late modernity live the experience of lack of time and the anxiety that results from it. These manifestations are considered by «Hartmut Rosa» as negative forms of acceleration, so he established a normative sociology whose purpose is to reveal the forms of alienation and diseases resulting from the transformations of time within these societies. However, the cure for the diseases and alienation left by acceleration is not slowing down but thinking beyond the concept of time to establish an authentic relationship with the world, so he proposed a new concept, «echo.» The echo, as it is the opposite of the process of acceleration and a remedy for it, does not express the self›s relationship with time but rather its relationship with the world.

Keywords: Echo, Acceleration, Late Modernity, The World, Alienation.

مقدمة :

هارتموت روزا. هو فيلسوف وعالم اجتماع ألمانيّ معاصر (١٩٦٥)[*]، وممثّل الجيل الرابع لمدرسة فرانكفورت أو ما يُعرف بالنظريّة النقديّة. يتحرّك روزا في نشاطه الفكريّ ضمن المساحة عينها التي جابها مؤسّسو المدرسة الأوائل والجيلان الثاني والثالث، إذ التزام النقد عندهم ثوابت مركزيّة، أهمّها مراجعة المشروع الحداثيّ وما تفرّع عن ذلك من نقد للمجتمعات الحديثة، بخاصّة بعد عصف التحوّلات الذي زحف نحوها وما تلاها من متحوّرات تتالت بالتعاقب، بأشكال متجدّدة، على هذه المجتمعات وأفرادها. (نقول متحوّرات لأنّ مفكّري النظريّة انهمكوا بالمعاينة النقديّة لإفرازات الحداثة الغربيّة بعد أن انطلقوا من ثابتة موحية وولادة لمعظم طروحاتهم الفكريّة، وهي أنّ الاستبشار بوعود الحداثة لم يصل إلى خواتيمه المرتجاة؛ بل أصابه التوعّك والانحراف فانتكس، ليعود ليتقهقر ويقع في النكوص مرتدًّا إلى ما انقلب عليه، أي الأسطورة، فأحيا أسطورته الخاصّة وهي التقنية (Micha Brumlik, 2016).

ليست الأخيرة بحدّ ذاتها هي ما تدل على تآكل المشروع الحداثي؛ بل العقلانيّة الكامنة وراء تسييرها وتوجيهها وتوظيفها، وهي عقلانيّة السيطرة التي تجد بذورها في النزوع المركزيّ التفرّديّ للعقل الغربيّ الذي احتوى على بذور الاستئثار، فنمت وتعاظمت وصارت إلى لوغوس قائم بذاته يثوى في شكل الدولة ومؤسّساتها، وفي السّوق وآليّاته، وفي الثقافة والفنّ يصنّعهما ويطوّعهما في استعمالاته، وفي الفرد الحديث ينسلّ إلى دواخله وكيانيّته فيشوّهها. مفرزات الحداثة المنحرفة أو المحرّفة عن منطلقاتها، في نظر أجيال المدرسة الأربعة، انعطاباتٌ بنيويّةٌ أسفرت عن باتولوجيات مرضيّة على المستويَين الفرديّ والاجتماعيّ. صوَّر كلٌّ واحد من فلاسفة النظريّة النقديّة عطب العوالم الحداثيّة بلغته الخاصّة؛ فمن "التنظيم اللاعقلانيّ" بحسب تعبير هوركهايمر، و"العالم الإداريّ" بحسب توصيف أدورنو، مرورًا بـ "مجتمع البعد الواحد" بلغة ماركوزه، أو "استعمار العالم المعيش أو الفضاء العموميّ" كما سمّاه هابرماس، وصولًا إلى "مجتمع الاحتقار" الذي يختصر رؤية هونِت للوجود الاجتماعيّ، وليس انتهاءً بـ "القفص الفولاذيّ" لهارتموت روزا. تختلف التسميات والتوصيفات المفاهيميّة، لكنّها تعبرّ عن ذهاب الأزمة في المجتمع الرأسماليّ الذي بات منظومة كونيّة عابرة للحدود والجغرافيا والثقافة والدولة، والزّمن ربمّا كما أراد روزا، إلى مزيد من تأزيم أزمته. تتفشّى في هذه العوالم الأنطولوجيّة المعتلّة ظواهرُ غير أصيلة صارت إلى براديغمات متنوّعة وصياغات ومقاربات فكريّة أثرت النظريّة النقديّة على طول امتداد تاريخها منذ عام ١٩٢٠ إلى اليوم. ونحن بصدد التعريف ببراديغم "التسارع" acceleration في الزمن الذي يوصّف عبره روزا النمط العولميّ المبتلع للمجتمعات الحديثة الرأسماليّة في لحظتها المعاصرة (Hartmut Rosa, 2005:5).

في كتابه «الرنين: علم اجتماع علاقتنا بالعالم»، يعيد هارتموت روزا صياغة المناقشات حول الأبعاد المعيارية للحداثة كما تم تطويرها في العديد من آرائه الفكرية، بما في ذلك، على الأخص، تقليد

(*) هارتموت روزا فيلسوف وعالم اجتماع ألمانيّ معاصر (١٩٦٥). يشغل حاليًا منصب أستاذ بجامعة فريدريش شيلر بمدينة إيينا الألمانيّة، وهو أستاذ زائر في جامعة كولومبيا. وهو ممثّل الجيل الرابع لمدرسة فرانكفورت.

النظرية النقدية الذي يمتد من ماركس إلى مدرسة فرانكفورت وما بعده. من خلال نظريات يورغن هابرماس وأكسيل هونيث. أبعد من هذا التوجه الرئيسي لعلم الأنساب، يقترح روزا أيضًا إعادة توجيه مميزة لعلم الاجتماع نفسه، الذي يُعطى مكانة مرموقة في عنوان الكتاب وفي اللحظات الرئيسية للتفكير المنهجي والنظري. في الواقع، يتحدث عمل روزا ويشمل مجالات المعرفة وأشكال الإنتاج الثقافي التي تمتد من العلوم (الطب وعلم الأعصاب، على وجه الخصوص) إلى العلوم الإنسانية (الفلسفة، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس) والفنون (السرد والشعر والأدب والموسيقى) (Rosa, Hartmut, 2019:5).

أولًا- إشكالية النظرية:

يُعايش الإنسان الغربي في الحداثة المتأخرة تجربة الافتقار إلى الزمان وما يترتب عليه من قلق نتيجة لظاهرة التسارع التي يعدُّها «روزا» صورة جديدة من الاغتراب. وفي إطار هذه السلطة التي تجعل الذوات دائمًا تحت وطأة مطالب الاستعجال تنهار استقلالية الأفراد والشروط التي تضمن وجودهم؛ فالحداثة التي أسست لمفهوم فردية ذرية تمارس استقلاليتها بفضل ما تتمتع به من حرية اختيار صارت نتيجة لفلسفتها عن الهيمنة والاستقلالية عائقًا يقف أمام تحقيق الذوات لعلاقاتهم الأصيلة بالعالم. تقود أشكال التسارع السلبية كما تحدث عنها «روزا» إلى تشوه العلاقة بين الأنا والعالم، فزيادة على فقدان الذات وتآكل الهوية الثابتة يفقد الإنسان الحداثي علاقته الأصيلة بالعالم (ومن ثم أضحى صمت العالم قائمًا على صمت العلاقة مع الأنا)، إن التجربة الأساسية للحداثة الغربية حسب تصوّر ممثل الجيل الرابع لمدرسة فرانكفورت النقدية هارتموت روزا أصبح يقوم على ما يسمى بـ «التسارع»، وهذا ما تشهده المجتمعات المتقدمة تكنولوجيًّا، حيث أصبح كل شيء يتم في زمننا هذا بسرعة فائقة، بعدما أصبح زمن الحداثة يتقدم مشروع «هارتموت روزا» كسوسيولوجيا غرضها اختبار العلاقة بالعالم والانفتاح على تحليل وصفي ونقدي قلق تجاه واقع المجتمعات الحداثية الراهنة، إذ تناقش جل كتاباته مفاهيم مستحدثة عمل على نحتها وإعطائها دلالات مفهومية عميقة تلامس أهم ظواهر المجتمعات الحداثية المتأخرة؛ مثل: التسارع، والاغتراب، والصدى وجعل العالم متاحًا، التي عدَّها مفاهيم مفتاحية لكل نقد للحداثة وعليه نصوغ إشكالية هذا المقال على النحو التالي: ما هو الشكل غير المغترب للوجود في العالم؟، ما هو الاغتراب الآخر؟،هل يمكن التأسيس لعلاقة أصيلة بين الأنا والعالم وفق مفهوم الصدى؟ بعد أن فقد الإنسان الغربي الحديث علاقته بالعالم وتآكلت جراء ما يعايشه من تسارع وتيرة الحياة الاجتماعية؟ هذا هو السؤال الذي تسعى المساهمة التالية إلى الإجابة عنه من خلال ترسيخ مفهوم الرنين بوصفه مفهومًا سوسيولوجيًّا.

ثانيًا- الأهداف:

١- الوقوف على فكرة النظرية.
٢- تحليل مفهوم الرنين في سياق النظرية النقدية.
٣- استكشاف أبعاد التمكين وعدم التمكين في المجتمعات الحديثة.

٤- تفنيد محاور الرنين الأفقية والقطرية والرأسية ودورها في بناء «علاقات عالمية».
٥- تحليل الاغتراب وصدى الرنين بوصفه مفهومًا اجتماعيًّا.
٦- استكشاف أبعاد الرنين.
٧- استنتاج تأملات نقدية حول القضايا الرئيسية.

ثالثًا- تساؤلات يطرحها المقال:

١- إذا كان تسارع الحياة -زيادة وتيرة الحياة- هو نفسه بالنسبة لجميع طبقات المجتمع. فالسؤال الآخر هو بطبيعة الحال على المستوى العالمي: هل الأمر نفسه بالنسبة لجميع أنحاء العالم؟
٢- إلى أي مدى تحدث أنواع المشاكل أو «الأمراض» التي يصفها روزا على نطاق عالمي، وإلى أي مدى هي قضايا خاصة بالغرب، أو بعبارة أدق بعض الشيء؛ بصراحة، «مشاكل العالم الأول». من المؤكد أن الرأسمالية تؤثر على الناس في جميع أنحاء العالم، ولكنها لا تؤثر عليهم جميعًا بالطريقة نفسها، أليس كذلك؟ ما المساحة التي تسمح بها نظريته لما يسمى غالبًا « (تزامن غير المتزامن)؟
٣- هل يشير مفهوم الرنين بالنسبة لروزا إلى مفهوم مؤسسي؟
٤- في تقليد النظرية النقدية، كان نقد الاغتراب -من ماركس إلى راشيل جايجي- يميل إلى تجنب تقديم ادعاءات جوهرية حول الطبيعة البشرية أو الحياة الجيدة. يبدو روزا، خاصة فيما يتعلق بالادعاءات المتعلقة بالحياة الجيدة متمسكًا بذلك. كيف يمكن تبرير ذلك في ظل ظروف التعددية العميقة؟ وما هو نطاقها تاريخيًّا وثقافيًّا؟
٥- ما أنواع العلاقات التي يتم جعلها رنانة، ولمن ولمن؟ وهل الأمر مختلف تمامًا في جميع الثقافات، وهو الشيء نفسه بالتأكيد مع الأشياء؟
٦- ما هي حساسيات الرنين، وما محاور الرنين وما العقبات، إذا جاز التعبير، التي تظهر في الحداثة، وما هي الطريقة الحديثة للاتصال بالعالم؟
٧- هل الرنين علاقة نفسية -شيء نختبره- أم أنه علاقة وجودية -شيء يحدث بالفعل بيننا- إذا كان وجوديًّا، فهو موجود في مكان ما هناك؛ وإذا كان نفسيًّا، فأنا أشعر إذا كان حديثنا صدى أم لا.
٨- ألا تعمل الأيديولوجية في كثير من الأحيان من خلال الصدى؟ يمكن أن يكون إنشاء هوية جماعية أو مجتمع أيضًا وسيلة لصنع صدى -على سبيل المثال- في قرية صغيرة، وعندما يدخل شخص ما لا يمكنك تشكيل علاقة رنانة بسبب نوع المجتمع الذي تعيش فيه؟

رابعًا- حول التسارع والاغتراب والرنين: الوقوف على فكرة النظرية.

كتب روزا: "لم تعد قوى التسارع تُختبر كقوة محررة؛ بل كضغط استعبادي فعلي بدلًا من ذلك". يعدُّ روزا التسارع المصدر المعاصر الرئيسي للاغتراب، على طول المحاور الثلاثة التي وصفها ماركس بشكل مشهور في الجزء المتعلق بـ «العمل المغترب»: اغتراب الناس عن أنفسهم، وعن إخوانهم من البشر، وعن العالم الخارجي. عالم الأشياء؛ بينما نشعر بالضغط المستمر المتمثل في الاضطرار إلى القيام بالمزيد بتكلفة أقل. ومع مرور الوقت، يبدو أيضًا أن هناك شعورًا مشتركًا بفقدان السيطرة على

حياتنا والعالم، وبالتالي فقدان الاتصال به (Rosa, Hartmut,2010:80).

بالنسبة لمفهوم "الاغتراب" الذي له تقليد طويل في الفلسفة الحديثة، والذي تم تناوله مرة أخرى مؤخرًا من قبل أكسل هونيث وراشيل جايجي، فهو مثل إشكالية بطبيعتها. يشير هذا المفهوم إلى أنك مغترب عن شيء ما، حيث غالبًا ما يرتبط هذا الشيء بمفهوم الإنسانية «الحقيقية» أو الحياة الأصيلة، سواء كان ذلك «الهمجي النبيل» عند روسو، أو «كائن النوع» عند ماركس المبكر، أو «الكائن الحي» عند هايدجر .. مثل هذه المفاهيم حول الأصالة يمكن أن تصبح اعتباطية أو قمعية بسهولة، فمن هو الفيلسوف أو المنظر النقدي الذي يقرر من هي حياته «أصيلة»، ومن ليست كذلك؟ ثم مرة أخرى، يجادل روزا، إذا أسقطنا مفهوم الحياة الجيدة تمامًا؛ فإن مفهوم الاغتراب يصبح أيضًا فارغًا؛ ومن ثم يخاطر بأن يصبح مجرد تسمية للأشياء التي لا نحبها (Rosa Hartmut, 2016: 356).

بالنسبة لروزا، وبوصفه منظِّرًا نقديًّا؛ فإن مفهوم الرنين يعمل على ثلاثة مستويات. في المقام الأول، يبدو أن هناك تيارًا أنثروبولوجيًّا، يصف فيه الصدى ما يجعلنا بشرًا؛ تتناول الفصول الأولى من دراسته السلوكيات الحيوانية والبشرية الأساسية؛ مثل: التنفس، والأكل والشرب، والتحدث والنظرة، والضحك، والبكاء، وممارسة الحب، وكلها تنطوي على علاقات صدى. ثانيًا، يعمل الرنين كنظرية للتحديث. تماشيًا مع تشارلز تايلور، يرى روزا أن الحداثة هي عملية تصبح فيها «الذات» أقل مسامية، وبالتالي تنغلق بشكل متزايد عن العالم. ومع ذلك، في الوقت نفسه، يعدُّ روزا أيضًا الحداثة بمثابة فترة تاريخية من «الإحساس بالرنين» المتزايد بما أن الرنين ليس «غرفة صدى» بل هو علاقة سؤال وإجابة؛ فإن الذات تحتاج إلى استقلالية نسبية من أجل الدخول في علاقات ذات معنى مع الآخر. كان وعد الحداثة على وجه التحديد هو: «أن نتمكن من الخروج إلى العالم للعثور على مكان يتحدث إلينا ويلمح إلينا، حيث يمكننا أن نشعر بأننا في وطننا وأننا سنكون قادرين على صنع مكان خاص بنا». أخيرًا؛ يعد مفهوم الرنين، كما أشرنا سابقًا، أداة حاسمة، توفر إطارًا لانتقاد المنافسة الرأسمالية كمصدر للاغتراب، بالإضافة إلى الحلول الكاذبة والادعاءات بالأصالة، سواء كانت محاولة فردية كاملة لليقظة الذهنية، أو الخطابات الشعبوية للتجانس الاجتماعي والثقافي (Rosa Hartmut, 2016: 599).

وهذا هو السبب وراء قيام روزا في كتابه «ريسونانز» بتحليل «الرنين» بوصفه نقيضًا للاغتراب، وبالتالي يهدف أيضًا إلى فهم أفضل للاغتراب بالإضافة إلى كونه أداة مفاهيمية يمكن من خلالها انتقاده. على الرغم من أنه ليس في حد ذاته مفهومًا للحياة الجيدة، إلا أن الصدى وفقًا لروزا يكمن في أساس كل مفاهيم الحياة الجيدة. إنه يشير إلى العلاقة بين الذات والعالم التي تتميز بالمعاملة بالمثل والتحول المتبادل: تجربة الذات لبعض الآخرين الذين يدعونها والتي تتطلب الفهم أو الإجابة، ولكن لديها أيضًا القدرة على تغيير الموضوع. الرنين، كما سارع روزا إلى إضافته، ليس مجرد تجربة (ذاتية) تنتمي إلى الذات؛ ويشير بشكل قاطع إلى العلاقة بين الذات والعالم، سواء كانت علاقة بين الذات والموضوع، أو حتى علاقة الذات بجسدها. ليس من المستغرب، وتماشيًا مع الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، أن يكون الفن بالنسبة لروزا مكانًا مثاليًّا لمثل هذه العلاقات ووسيطًا لها (على الرغم من أن الدين والطبيعة هما أيضًا أمثلة مهمة)، ويعمل بالفعل كأثر للعالم. أصبحت العلاقات

معزولة بشكل متزايد. الاغتراب إذن هو على وجه التحديد استحالة أو عدم القدرة على الدخول في علاقة مع الآخر. وفي الواقع؛ فإن جميع المشاكل أو «الأمراض الاجتماعية» للحداثة وفقًا لروزا تتلخص في ما يلي: أننا غير قادرين على تشكيل علاقة ذات معنى من التفاهم والتفاعل المتبادل، سواء مع محيطنا المادي (على سبيل المثال، في حالة العمل) أو مع زملائنا، الكائنات البشرية.

يعتمد الرنين على عمل روزا السابق حول التسارع، بحجة أنه بقدر ما أنتج المنطق التصعيدي للحداثة الرأسمالية أزمات في المجالات البيئية والسياسية والنفسية؛ فإن القيمة المضادة التي يجب الاعتراف بها وتعزيزها هي الرنين (Rosa Hartmut, 2013: 5)، وكما قال ببلاغة في الجملة الأولى من الكتاب: «إذا كان التسارع هو المشكلة، فقد يكون الرنين هو الحل» في حين أن التكافؤ المعياري للرنين يمكن أن يتغير في سياقات مختلفة، إلا أنه -بشكل عام- بمثابة قيمة توجيهية ضمن حساب للعالم الذي يسعى إلى تحقيق التوازن بين النقد التشخيصي للآثار السلبية للحداثة مقابل الاعتراف بإنجازاتها الإيجابية وتأكيد الإصلاحات. إمكانات عالم تصبح فيه تجارب الرنين متاحة على نطاق واسع ويتم متابعتها بنشاط.على الرغم من تميز مفهومه الأساسي، فإن رواية روزا تشترك في سمات معينة مع أطر رئيسية أخرى ضمن النظرية النقدية، وهي سمات يعكسها روزا في اللحظات الرئيسية في النص. ومع ذلك؛ هناك قضيتان رئيسيتان تثيران -على محمل الجد- مسألة إلى أي مدى يمكننا وضع روزا في هذا التقليد. الأول، يثير التوتر بين الأبعاد الاجتماعية والثقافية والأنثروبولوجية لرواية روزا، التي يرتبط الأخير بإطارها النفسي الأساسي، تساؤلات مهمة حول ما إذا كان من الممكن حقًّا خدمة الالتزامات السياسية المعلنة للمشروع، أو دمجها بشكل فعال في المشروع من خلال إطارها النظري. الثاني، وبشكل متصل، من غير الواضح، والمثير للاهتمام للغاية، ما إذا كان مفهوم الرنين، على الرغم من قوته في تغيير الإطار وغناه المعياري، يمكن أن يعمل كمصلحة تحررية، وكيف يمكن ذلك. أبعد من ذلك، هناك مشاكل أخلاقية وسياسية تثار في الطريقة نفسها، خاصة عندما يتم استخدام التحليل النقدي لتقديم ادعاءات موضوعية أو تشخيصية حول أشكال الخبرة. يتزامن تفسير روزا مع التشكيلات الفكرية الحالية الأخرى -لا سيما في العلوم الإنسانية- التي تسعى إلى الانتقال من كآبة النظرة النظمية إلى اعتراف أكثر إيجابية بأشكال التجارب والممارسات الشخصية والجماعية التي يمكن أن تخدم دورًا تعويضيًّا أو تحويليًّا. (Rosa Hartmut, 2019:1-3)

يقوم روزا بتشريح الحداثة بوصفها عملية تسارع، تشتمل على الأبعاد الثلاثة للتسارع التقني، وتسريع التغيير الاجتماعي، وتسريع وتيرة الحياة. على الرغم من أن تحليله يتماشى إلى حدٍّ كبير مع «نظرية السرعة» لبول فيريليو* (*)Paul Virilio's "dromology

وتحليل ديفيد هارفي للحداثة على أنها «ضغط الزمان والمكان» David Harvey's analysis of modernity as "time-space compression»

فإن السؤال الأساسي واهتمام روزا مختلف إلى حدٍّ ما. في حين يبدو أن فيريليو يهدف بشكل

(*) بول فيريليو هو مُنظِّر فرنسي معاصر ناقش بإسهاب أهمية السرعة والتكنولوجيا في عصر ما بعد الحداثة ودورها في تغيير القيم.

رئيسي إلى النقد الثقافي، وهارفي إلى تحليل الرأسمالية كنظام؛ فإن روزا مهتم أولًا وقبل كل شيء بمسألة الحياة الجيدة. مثل الأجيال السابقة من مدرسة فرانكفورت، هوركهايمر وأدورنو، هابرماس، Horkheimer and Adorno and, Habermas

فهو يعدُّ الحداثة من حيث هي الوعد الناقص: إن الثورات التكنولوجية والاجتماعية التي كان من المفترض أن تؤدي إلى زيادة في الاستقلالية أصبحت الآن قمعية بشكل متزايد. حتى أنه وصف «الاغتراب والتسارع « (٢٠١٠) بأنه عملية شمولية، لأنه يشمل جميع جوانب حياتنا الشخصية والاجتماعية، ويكاد يكون من المستحيل مقاومته أو الهروب منه أو انتقاده. يقول روزا: "لم تعد قوى التسارع تُختبر كقوة محررة، بل كضغط استعبادي فعلي بدلًا من ذلك(Rosa Hartmut, 2010 :8).

لذلك يعدُّ روزا التسارع المصدر المعاصر الرئيسي للاغتراب، على طول المحاور الثلاثة التي وصفها ماركس Marxفيما يتعلق بإشكالية «العمل المغترب»: اغتراب الناس عن أنفسهم، وعن إخوانهم من البشر، وعن العالم الخارجي. عالم الأشياء. بينما نشعر بالضغط المستمر المتمثل في الاضطرار إلى القيام بالمزيد بتكلفة أقل. ومع مرور الوقت، يبدو أيضًا أن هناك شعورًا مشتركًا بفقدان السيطرة على حياتنا والعالم، وبالتالي فقدان الاتصال به.

يستمر روزا في السير على طريق الاغتراب والتسارع . بالنسبة لمفهوم «الاغتراب» الذي له تقليد طويل في الفلسفة الحديثة، والذي تم تناوله مرة أخرى مؤخرًا من قبل هونيث وجايجي (٢٠١٦) Axel Honneth and Rahel Jaeggi، فهو يمثل إشكالية بطبيعته. يشير هذا المفهوم إلى أنك مغترب عن شيء ما، حيث غالبًا ما يرتبط هذا الشيء بمفهوم الإنسانية «الحقيقية» أو الحياة الأصيلة، سواء كان ذلك «الهمجي النبيل» عند روسو، أو «كائن النوع» عند ماركس المبكر، أو «الكائن الحي» عند هايدجر يجادل روزا، إذا أسقطنا مفهوم الحياة الجيدة تمامًا، فإن مفهوم الاغتراب يصبح أيضًا فارغًا؛ ومن ثم يخاطر بأن يصبح مجرد تسمية للأشياء التي لا نحبها، وهذا هو السبب وراء قيام روزا في كتابه "ريسونانزResonanz " (Rosa Hartmut,2016) بتحليل «الرنين» بوصفه نقيضًا للاغتراب، وبالتالي يهدف أيضًا إلى فهم أفضل للاغتراب بالإضافة إلى كونه أداة مفاهيمية يمكن من خلالها انتقاده. على الرغم من أنه ليس في حد ذاته مفهومًا للحياة الجيدة، إلا أن الصدى وفقًا لروزا يكمن في أساس كل مفاهيم الحياة الجيدة. إنه يشير إلى العلاقة بين الذات والعالم (العلاقة العالمية) التي تتميز بالمعاملة بالمثل والتحول المتبادل: تجربة الذات لبعض الآخرين الذين يدعونها والتي تتطلب الفهم أو الإجابة، ولكن لديها أيضًا القدرة على تغيير الموضوع. الرنين، كما سارع روزا إلى إضافته، ليس مجرد تجربة (ذاتية) تنتمي إلى الذات؛ ويشير بشكل قاطع إلى العلاقة بين الذات والعالم، سواء كانت علاقة بين الذات والموضوع، أو حتى علاقة الذات بجسدها. ليس من المستغرب، وتماشيًا مع الجيل الأول من مدرسة فرانكفورت، أن يكون الفن بالنسبة لروزا مكانًا مثاليًّا لمثل هذه العلاقات ووسيطًا لها (على الرغم من أن الدين والطبيعة هما أيضًا أمثلة مهمة)، ويعمل بالفعل كأثر للعالم. أصبحت العلاقات معزولة بشكل متزايد على خلفية التسارع المتزايد. الاغتراب إذن هو على وجه التحديد استحالة أو عدم القدرة على الدخول في علاقة مع الآخر. وفي الواقع؛ فإن جميع المشاكل أو «الأمراض الاجتماعية»

للحداثة وفقًا لروزا تتلخص في ما يلي: أننا غير قادرين على تشكيل علاقة ذات معنى من التفاهم والتفاعل المتبادل، سواء مع محيطنا المادي (على سبيل المثال، في حالة العمل) أو مع زملائنا من الكائنات البشرية.(Thijs Lijster, Robin Celikates & Rosa Hartmut,2019:66)

خامسًا- الرنين في سياق النظرية النقدية:

ما هو الرنين بالتحديد؟ ولماذا هو المصطلح المضاد للتسارع؟ أولًا، من المهم الاعتراف بوجود قدر معين من عدم التماثل في مصطلحات روزا المتعارضة. يصف أحد المصطلحين حالة جهازية؛ بينما يصف الآخر شكلًا من أشكال الخبرة. يصف التسارع ديناميكية ثقافية واجتماعية واقتصادية: دافع لا نهاية له للتراكم الذي يعمل من خلال الزيادات ليس فقط في النمو ولكن في الإيقاع والزخم. وبسبب انجرافهم إلى هذه القوى وتأثرهم بها، يفقد البشر القدرة على خوض تجارب ذات معنى يشعرون فيها بالارتباط بالآخرين وبالعالم. يتم تعريف الرنين من خلال اللحظات التي يعيش فيها المرء ويشعر بأنه حاضر في تجربة ممتصة، سواء كانت اجتماعية أو جمالية أو دينية أو جسدية أو بيئية. بقدر ما الحياة الحديثة، في رأي روزا، تعزز مشاعر الاغتراب حيث تصبح علاقة الفرد بالعالم صامتة أو حتى مثيرة للاشمئزاز، ويصبح من الصعب تحقيق الجوانب الأساسية والمستدامة للوجود الإنساني. إن أي استجابة لهذا الوضع يجب أن تبدأ بسرد شامل للتاريخ والسياقات الثقافية والسياسية والمؤسسية التي أوجدت هذا الشكل المتضائل والمدمر لتجربة العالم. في حين يعتقد روزا أن المجتمعات المثالية يجب أن تعمل على صنع الظروف التي يمكن من خلالها تعزيز الرنين واستدامته بشكل تعددي، فإنه يحذر أيضًا من أن مشروعه في وضعه الحالي لا يمكن أن يكون إلا بمثابة دعوة أو عتبة لمشروع أكبر للتحول المجتمعي. إن أي استجابة لهذا الوضع يجب أن تبدأ بسرد شامل للتاريخ والسياقات الثقافية والسياسية والمؤسسية التي أوجدت هذا الشكل المتضائل والمدمر لتجربة العالم. في حين يعتقد روزا أن المجتمعات المثالية يجب أن تعمل على صنع الظروف التي يمكن من خلالها تعزيز الرنين واستدامته بشكل تعددي، فإنه يحذر أيضًا من أن مشروعه في وضعه الحالي لا يمكن أن يكون إلا بمثابة دعوة أو عتبة لمشروع أكبر للتحول المجتمعي (Rosa Hartmut, 2019: 335).

يصف روزا تقليد النظرية النقدية بأنها -في حد ذاتها- تسجل كلًّا من الموقف التشخيصي تجاه تسارع الرأسمالية والطموح المعياري نحو الصدى الذي يسعى إلى كشفه وتضخيمه: "التعارض بين الحاضر الرأسمالي المهيمن والمغترب والمُشيِّع وبين الصدى الذي طال انتظاره". يشكل توليد نظام اجتماعي بديل حلقة وصل في سلسلة المفكرين النقديين من ماركس عبر لوكاش وأدورنو وفروم وماركوز إلى هابرماس وهونيث»(Rosa Hartmut, 2019:336). بدءًا من مخطوطات ماركس بالتأكيدات الترميمية لهابرماس وهونيث، يركز روزا بشكل خاص على المُثُل المعيارية التي تدعم نقد الحداثة عبر تاريخ الماركسية الغربية: فهي في رأيه تشير إلى شوق إلى الصدى حتى لو لم يطلقوا عليه اسمًا. مثل هذا أو تفصيله على أكمل وجه كما يشاء. يعدُّ روزا

نفسه بشكل خاص ينتمي إلى صف المفكرين الذين يعترفون بوجود جانب مزدوج للحداثة. وكما يوضح في عنوانين متتاليين للفصلين في الجزء الثالث من الكتاب، ينبغي فهم الحداثة من ناحية على أنها «تاريخ كارثة الرنين» ومن ناحية أخرى على أنها «تاريخ الحساسية المتزايدة للرنين» (Rosa Hartmut, 2019:307-357). بهذه الطريقة، يعكس روزا المناهج التي نراها في هابرماس وهونيث، حيث يرتبط الشعور بالطموح التقدمي بالعناصر الإيجابية داخل الحداثة، بما في ذلك التفكيك النقدي للتقاليد والسلطة التي لا جدال فيها، وظهور الممارسات والمؤسسات الديمقراطية، وأشكال الديمقراطية. تحقيق الذات أصبح ممكنًا بفضل هذه التطورات.في الواقع، أحد الجوانب الأكثر إثارة للاهتمام في الكتاب هو الطريقة التي ينتمي بها روزا إلى كل من هابرماس وهونيث، ولكنه يميز نفسه عنهما. تنبع هذه الحركة ذهابًا وإيابًا من الحاجة إلى التمييز بين التحول العميق الذي ينطوي عليه مفهوم الرنين. يعتمد روزا على العناصر الأساسية من كلا المفكرين، مؤكدًا أن نظرية الاعتراف التي وضعها هونيث مهمة للغاية لمشروعه بقدر ما تساعد في إلقاء الضوء على حاجتنا إلى «التطوير والحفاظ على علاقات رنانة مع العالم (Rosa Hartmut, 2019:200). إن العلاقات الذاتية وأشكال الاعتراف والتجاهل وعدم الاحترام التي تميزها هي المفتاح لفهم الطرق التي يتم بها إحباط الرنين وتمكينه. وبالمثل؛ فإن نظرية هابرماس في الفعل التواصلي، مع توجهها نحو التفاهم المتبادل، يُنظر إليها على أنها تجسد شكلًا رئيسيًّا من أشكال التجربة الرنانة، في حين أن تفسيره للطرق التي توفر بها الممارسات التواصلية الأساسية الأساس الذي تُبنى عليه الممارسات والمؤسسات الديمقراطية يطلع روزا على وجهة نظره. تركيزه الخاص على السياسة الديمقراطية بوصفها «مجال صدى» يعزز «علاقة الاستجابة بين المؤسسات [الديمقراطية] والمواطنين» (Rosa Hartmut, 2019: 350).

يعود الفضل أيضًا إلى هابرماس في التعرف على بعض التهديدات المركزية التي تواجه الصدى في المجتمع الحديث. إن تركيزه على الطرق التي يؤدي بها النمو المتسارع للاقتصاد والدولة إلى ما يسميه «استعمار عالم الحياة» هو بالنسبة لروزا نظرة ثاقبة للطرق التي أدى بها التسارع إلى «كارثة صدى» في عالمه. تدمير فرص التفاهم المتبادل عبر العديد من الممارسات الاجتماعية (Rosa Hartmut, 2019: 350). ومع ذلك، في الوقت نفسه، تم تحديد القيود لدى كلا المفكرين. يُنظر إلى كليهما على أنهما يركزان بشكل حصري للغاية على العلاقات الذاتية، التي بالنسبة لروزا ليست سوى جزء من الطرق المتعددة التي نتواصل بها مع أنفسنا والآخرين والعالم. يفشل هونيث في الاهتمام بالطرق التي يؤدي بها المنطق التصاعدي للرأسمالية إلى إنتاج حاجة متزايدة للاعتراف، والتي يُنظر إليها في الوقت نفسه على أنها دائمًا غير كافية وغير مستقرة. وينتقد هابرماس الإفراط في التأكيد على الأبعاد المعرفية للوجود، وبالتالي إغفال العديد من مجالات الصدى المفتوحة للأفراد والجماعات. بالنسبة لروزا، على الرغم من إسهاماتهم القوية في فهم الحداثة، فإن مجموعة من أشكال العلاقات مفقودة لدى هذين المفكرين، وليس فقط تلك التي تمتد إلى التجارب التي تشمل الجسد والطبيعة (Rosa Hartmut,2019: 356).

سادسًا- صدى الرنين: استكشاف أبعاد التمكين وعدم التمكين في المجتمعات الحديثة (سوسيولوجيا العلاقات العالمية).

يعد مفهوم الرنين لروزا أمرًا حاسمًا في مخططه لـ Soziologie der Weltbeziehung كما هو شائع مع المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والاجتماعية. قد لا تكون هناك ترجمة دقيقة لهذه التسمية، ويمكن ترجمته، حرفيًّا، على أنه «علم اجتماع العلاقة بالعالم»، أو بشكل أكثر اصطلاحًا، على أنه «علم اجتماع العلاقات العالمية». لا يبدو هذا الأخير أكثر ملاءمة للناطقين باللغة الإنجليزية من الأول فحسب؛ بل يجسد أيضًا حقيقة مفادها أن علم الاجتماع، بحكم تعريفه، يواجه عددًا وافرًا من العلاقات العالمية. أصبحت كتابات روزا مؤثرة بشكل متزايد، وخاصة في الأوساط الأوربية(*).

إن محاولة روزا لتطوير «علم اجتماع العلاقات العالمية»، الذي يتمثل عنصره الأساسي في مفهوم الرنين، تقف بقوة في تقليد النظرية النقدية. لأنه يعكس استمرارًا للجهد المستمر لتأسيس النظرية النقدية على نموذج محدد، تتجاوز مركزيته مكانة جميع المفاهيم ذات الصلة المستخدمة للكشف ليس فقط عن الإمكانات الطوباوية، ولكن أيضًا عن السمات المرضية للحداثة.

وفقًا لروزا، يمكن تعريف الرنين بأنه «شكل من أشكال العلاقات العالمية، حيث يلتقي الذات والعالم ويحولان بعضهما بعضًا يشكل الرنين علاقة تجريبية مبنية على الاستجابة، وليس على الصدى، يفترض أن كلا الجانبين يتحدثان بصوتهما»، الأمر الذي يعني أن كل طرف مشارك في هذه التجربة يتمتع بدرجة معينة من الاستقلالية. علاوة على ذلك، يتوقف الرنين على «التقييمات القوية»، وهذه ليست مجرد معاملات ولكنها مكونة للأنواع، الأمر الذي يسمح للبشر بإقامة علاقات موجهة أخلاقيًّا وتمكينية متبادلة. وبعبارة أخرى، يرتبط الصدى ارتباطًا وثيقًا بآفاق الخلفية التحفيزية التي تشكلها القيمة، وليس العقلانية الذرائعيةأخيرًا؛ السمة الأساسية للرنين هي «لحظة عدم التوفر التأسيسي يدل على عدم جواز الحصول عليه. إن عدم توفره الأساسي له نتيجتان رئيسيتان: الأولى، لا يمكن إحداث الرنين حسب الرغبة أو بطريقة نفعية بحتة؛ الثانية، الرنين لا يمكن التنبؤ بنتائجه».(Rosa Hartmut, 2016 :298)

إن العلاقات الاجتماعية التي يدعمها الرنين هى ذات شأن متناقض: (أ) إنها قوية؛ لأنها تمثل قوة متأصلة في الحياة البشرية. فهي هشة لأنها يمكن أن تقوضها ظروف التعايش التي تعيق تنميتها. (ب) إنها هيكلية؛ لأنها مضمنة في قواعد التفاعل الاجتماعي. إنها فاعلة؛ لأنها تعتمد على قدرة الناس على التفاعل مع العالم من خلال الارتباط بالأبعاد الموضوعية والمعيارية والذاتية لوجودهم والعمل عليها وإسنادها. (ج) إنها مغلقة؛ لأنها يجب أن تكون موحدة بما فيه الكفاية لتمكين المنغمسين فيها

(*) See ibid., book title: Resonanz. Eine Soziologie der Weltbeziehung. On their website, the publisher (Suhrkamp) has opted for the following (somewhat cumbersome) English translation of the book's title: Resonance. A Sociology of the Relationship to the World. On the Polity website, the title appears as Resonance. A Sociology of Our Relationship to the World; see Rosa (2019 [2016]). The French title is Résonance. Une sociologie de la relation au monde; see Rosa (2018 [2016]).

من «التحدث بصوتهم». إنها منفتحة؛ لأنها يجب أن تكون قابلة للتكيف بما يكفي للسماح لأولئك الذين يعانون منها بأن «يتأثروا ويتم الوصول إليهم». (Rosa Hartmut,2015 :32).

بالنسبة لروزا، «الرنين» ليس حالة عاطفية؛ بل هو وضع علائقي. يمكن تجربتها بعدة طرق، بما في ذلك لحظات الحزن والأسى، ولهذا السبب يمكننا الاستمتاع بالقصص الحزينة أو حتى حبها. يشدد هذا الفهم العلائقي للحالة الإنسانية على الأهمية الاجتماعية الوجودية للعلاقات التي نقيمها، ككيانات تبحث عن الصدى، مع جوانب مختلفة من وجودنا. ولكن منذ ظهور الحداثة، تزايدت وتيرة الحياة على نطاق غير مسبوق على مختلف المستويات: اجتماعيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا ومهنيًّا وديموغرافيًّا وجغرافيًّا وتقنيًّا، على سبيل المثال لا الحصر. تأخذنا هذه القضية إلى الاهتمام الرئيسي لروزا: إذا كان التسارع هو المشكلة، فربما يكون الرنين هو الحل. هذه هي الأطروحة الأساسية عنده.

في حين يبدو أن الأول يبعدنا أكثر عن إمكانية «الحياة الجيدة» فإن الأخير يوفر لنا فرصة تحقيق ذلك. إن البحث اليومي عن الصدى لا يكون مدفوعًا بالسعي العقائدي وراء مخطط إيديولوجي، ناهيك عن الطموح إلى السعي وراء حالة نهائية طوباوية، والتي قد يتم التوصل إليها في مرحلة ما في المستقبل. بدلًا من ذلك، تشكل أنشطة البحث عن الصدى عنصرًا أساسيًّا في الوجود اليومي، وهو أمر لا يمكن تصوره دون رغبة الناس وحاجتهم إلى إيجاد معنى في تفاعلاتهم اليومية مع الأبعاد المتعددة لعوالم حياتهم (Rosa Hartmut, 2016: 13) .

يحتاج المرء أن يكون «متذوقًا» لفن الرنين -إدراك أن الأنشطة الهادفة حيوية لقدرة الناس على إعطاء قيمة لحياتهم- نظرًا لأن البشر كيانات مشتاقة ومسقطة، فإن وجودهم لا يدور أبدًا حول «المعطى» فحسب؛ بل دائمًا أيضًا حول «الرغبة»، وهذا يرفع العلاقات القائمة على الرنين إلى مرتبة اجتماعية وجودية مميزة لكنوز المعنى، التي بدونها ستكون الحياة البشرية، في أحسن الأحوال، مملة، أو في أسوأ الأحوال، شأنًا لا معنى له .(Simon Susen, 2007 : 293–296)

نظرًا لطبيعته المتعددة الطبقات، يمكن لمفهوم الرنين أن يكون بمثابة « دافع محتمل لدراسة العلاقات العالمية في جميع مجالات الحياة البشرية تقريبًا»، والأهم من ذلك، «لوصف نوعية هذه العلاقات (Rosa Hartmut, 2016 :281) . ويمكن استخدامه كمقياس لإصدار أحكام حول القيمة المعيارية للترتيبات الاجتماعية، وخاصة من حيث مدى إسهامها في تمكين الإنسان. بالمعنى الدقيق للكلمة، مصطلح «الرنين» يصف «ظاهرة صوتية»؛ بالنسبة للكلمة اللاتينية re-sonare تعني «الصدى» أو «التردد» ومع ذلك، وعلى عكس الصدى، فإن الرنين ليس مجرد نتاج سلسلة من «التفاعلات الخطية الميكانيكية».. بل إن ظهورها لا يمكن تصوره دون مستوى كبير من عدم القدرة على التنبؤ، وذلك بسبب الاستقلالية النسبية التي تتمتع بها الكيانات المشاركة في الأنشطة المثقلة بالرنين.

«يأتي الرنين إلى الوجود فقط عندما يتم تحفيز تردد جسم آخر من خلال اهتزاز جسم ما» والعكس. في الحياة الاجتماعية، يعتمد الصدى على التفاعل بين الموضوعات والأشياء المستقلة نسبيًّا. وبدلًا من السماح بفرض مجموعات قوى منظمة بشكل غير متماثل، «في علاقة الرنين، يتحدث كلا الجسدين «بصوتهما الخاص» (Rosa Hartmut, 2016 :282). وبالتالي؛ لا يؤكدون على علاقتهم

وتبادلهم فحسب، بل يحتفظون أيضًا بدرجة كبيرة من الاستقلال. علاقات الرنين «تؤدي إلى التعزيز المتبادل، وبالتالي تضخيم سعة الاهتزازات» التي من خلالها يمكن للعناصر الفاعلة أن تدخل في أنماط اتصال مثمرة للطرفين.

بالنسبة لروزا؛ فإن مصطلح «الرنين» هو «مفهوم أساسي في علم اجتماع العلاقات العالمية». إنه يجسد «نوعًا محددًا من الارتباط بالعالم». إن المواقف المختلفة التي نشغلها في الفضاء الاجتماعي هي «نتيجة لظروف علائقية سابقة أو علاقات»،الأمر الذي يعني ضمنًا أن الطرق التي نوجد بها في العالم تتوقف على مجموعات من الفعل والتفاعلات المتغيرة زمانيًّا ومكانيًّا. «الوجود في العالم الشكل الأساسي للانغماس الذي يعيشه البشر عندما يتعرضون للأبعاد الموضوعية والمعيارية والذاتية لوجودهم» (Rosa Hartmut, 2016 :286). في «علم اجتماع العلاقات العالمية» لروزا، تمتلك تجارب الرنين رجحانًا اجتماعيًّا وجوديًّا. تبدو الحياة بلا معنى بالنسبة للبشر ما لم «تتحدث» وجوهها المختلفة معهم، وبالتالي «يتردد صداها معهم» بطريقة أو بأخرى. «ثالوث حركات الجسم والعقل والعالم التجريبي المتقارب» إلى أن التقاء ممارساتنا وهياكلنا الجسدية والعقلية والغامرة يسمح بظهور الرنين. هنا تتلاقى خرائطنا المعرفية والتقييمية مع أفعالنا أو كياننا» ، تجارب الصدى، بناءً على «التوافق مع تقييماتنا القوية»، من المرجح أن تحدث. تميل لحظات الصدى إلى أن تتميز بالتماثل بين «ما هو كائن» و«ما يجب أن يكون»، بين «الظروف الموضوعية» و«التوقعات المعيارية أو الذاتية»، بين «العالم كما هو» و«الواقع الذي نعيشه» (Rosa Hartmut, 2016 :290).

بالنسبة لروزا، يمكن عدّ «الرنين» مفهومًا وصفيًّا ومعياريًّا:على المستوى الوصفي، فإن حقيقة أن الرنين هو حاجة إنسانية أساسية وقدرة إنسانية أساسية في الوقت نفسه لها نتيجتان.

١- لا يمكن تصور توحيد الذاتية الإنسانية والذاتية المتبادلة دون علاقات محملة بالرنين. وبدون انغماسهم في تجارب المشاركة المتبادلة المستجيبة، لن يكون الممثلون قادرين على تطوير إحساس بالشخصية، وهو جزء لا يتجزأ من بناء الهويات الفردية والجماعي .(Simon Susen, 2017: 132–159)

٢- لدى البشر رغبة في العلاقات المحملة بالرنين. في الأساس، كل رغبة إنسانية هي رغبة في الصدى. إن رغبتنا في الصدى لا تقل أهمية عن رغبتنا في الاعتراف. ومع ذلك، بقدر ما قد يظل كل من الأول والأخير غير محققين، فمن المحتمل أن يكونا محفوفين بالمخاطر، وقد يؤدي عدم تحقيقها إلى أشكال خطيرة من الاغتراب الفردي و/أو الاجتماعي.

٣- على المستوى المعياري، يمكن لمفهوم الرنين أن يكون بمثابة «مقياس للحياة الطيبة»، وبالتالي «كمعيار للفلسفة الاجتماعية ذات التوجه المعياري». إن نقد الظروف الاجتماعية لا معنى له دون نقد ظروف الرنين لأن جودة تجارب الناس الخاصة بالرنين تعد أمرًا حيويًّا لجودة حياتهم، وفي النهاية، لقدرتهم على بناء مساحات فردية و/أو جماعية لتحقيق الذات والتحول الذاتي (Rosa Hartmut, 2016 :294).

لكي نكون واضحين، لا يدعي روزا أن «جميع أشكال أو لحظات العلاقات العالمية يجب أن تتبع منطق الرنين العلائقي أو أن جميع تجارب العالم يجب أن تكون تجارب صدى». نظرًا لهشاشة الرنين المحتملة أو الفعلية، لا يمكن عدّ وجوده أمرًا مفروغًا منه، ناهيك عن افتراض أنه يتخلل، أو حتى يملي،

كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية. إن فكرة أن جميع العلاقات العالمية محملة بالرنين تتجاهل حقيقة أن جميع «تجارب الرنين تمتلك لحظة غير قابلة للحل من عدم التوفر». هذا لا يعني التنصل من مركزية الرنين الاجتماعية والوجودية. والواقع أن ما نحتاج إليه هو فينومينولوجيا اجتماعية ذات صدى، قادرة على إظهار الدور المحوري الذي تؤديه في بناء الحياة اليومية. في اللحظة التي يتردد فيها صدى شيء ما في قلوبنا، على سبيل المثال، عندما نقع في حب شخص، تصبح علاقتنا بالعالم محملة بالمعنى. إذا كان يبدو «يستحق العيش» ليس فقط «لأن العالم يبدو يستحق الارتباط به»، ولكن أيضًا لأنه في مواجهاتنا وصراعاتنا اليومية مع جوانب مختلفة من وجودنا، قد يكون للعالم (أو لا) صدى معنا، وبالتالي يوفر مصادر للمعنى. بدون أنشطة البحث عن الرنين، ستكون حياتنا بلا معنى. نحن نتردد، إذن نحن موجودون (Rosa Hartmut, 2016 :297).

سابعًا- محاور الرنين: الأفقية والقطرية والرأسية ودورها في بناء «علاقات عالمية».

يميز روزا ثلاثة محاور رئيسية للرنين، ويشير إليها أيضًا باسم «محاور العلاقات العالمية» و«مجالات الرنين» (Rosa Hartmut, 2016: 341-380) (Rosa Hartmut, 2016 :297-332):

ومن أمثلة محاور الرنين الأفقية: الأسرة والصداقة والسياسة. ويتم تأسيسها بين الجهات الفاعلة البشرية، ولا سيما من خلال تجارب المجتمع. هنا، العالم المعياري للاشتراكية «يكتسب صوتًا»، الأمر الذي يوضح الأهمية المكونة لأنواع العلاقات التفاعلية ذات المغزى، التي بدونها ستكون الحياة البشرية خالية من الوضوح والتضامن والهوية.

١- ومن أمثلة محاور الرنين القطرية: الأشياء والعمل والمدرسة والرياضة والاستهلاك. تنقل هذه العلاقة بين الخطوط الأفقية والعمودية من خلال السعي وراء ممارسات هادفة -خاصة عند التصرف على الواقع- بطريقة موجهة نحو الهدف. هنا، العالم الموضوعي للأشياء «يكتسب صوتًا»، الأمر الذي يعكس الدور التوليدي لأنواع قدرة الفاعلين البشريين على تحديد مكانهم في الكون من خلال بناء وإعادة بناء الظروف المادية والرمزية لوجودهم.

٢- ومن أمثلة محاور الرنين الرأسية: الدين والطبيعة والفن والتاريخ. تكتسب هذه المجالات مكانة مجالات الارتباط «الأعلى»، وربما حتى «المتسامية»؛ على سبيل المثال، فيما يتعلق بالإله (الآلهة)، أو الكون، أو الزمن، أو الأبدية. هنا، العالم الإسقاطي للكائنات الإلهية (أو شبه الإلهية) «يحصل على صوت»، معبرًا عن شوقٍ مميزٍ لأنواع مجالات التعالي اليومي، التي تسمح للجهات الفاعلة البشرية بتحدي مُعطيات الواقع من خلال الإنتاج السلوكي والأيديولوجي والمؤسسي للأداء الغائي

٣- من المرجح أن ينظر الأشخاص غير السعداء أو المكتئبين إلى العالم على أنه «كئيب، وفارغ، وعدائي، وعديم اللون». بينما يشعرون بأنفسهم وعالمهم الداخلي بأنهم «باردون، وموتى، ومخدرون، وصمٌّ». في مثل هذه الحالات « تبقى محاور الرنين بين الذات والعالم صامتة». إن محتويات محاورالرنين المذكورة أعلاه لا تختلف بين الأفراد فحسب؛ بل بين الثقافات أيضًا .. إن

محاور الصدى مشروطة بقدر ما تختلف من حيث الطرق التي يتم من خلالها تجربتها، وتقديرها، وإشكاليتها من قبل الأفراد والثقافات. إن محاور الرنين عالمية بقدر ما يتم تجربتها وتقديرها وإشكاليتها من قبل جميع الأفراد وفي جميع الثقافات (Rosa Hartmut, 2016: 26).

٤- وإدراكًا لبنيتها المشروطة وطبيعتها العالمية، تحتاج النظرية النقدية إلى فحص «الظروف الاجتماعية التي تسهل أو تعيق تشكيل محاور الرنين». لأنه لا توجد عوالم تحررية للوجود دون تمكين محاور الرنين فرديًّا وجماعيًّا. وهكذا، لا يمكن تصور علم اجتماع العلاقات العالمية دون «نقد ظروف الرنين المتحققة تاريخيًّا». وعليها أن تستكشف إلى أي مدى تعمل مجموعات معينة من المجموعات الاجتماعية على تعزيز أو إعاقة ظهور ممارسات محملة بالرنين التي يعدُّها المشاركون فيها ذات معنى. في مواجهة هذه المهمة الطموحة، يصبح من الضروري تقديم «شكل معدل ومتجدد للنظرية النقدية» .(Rosa Hartmut, 2016:36)

ثامنًا- الاغتراب وصدى الرنين كمفهوم اجتماعي(*):

يزعم روزا أن الاغتراب هو نمط معين من الارتباط بعالم الأشياء، وبالناس، وبالمرء نفسه، حيث لا توجد استجابة، أي لا يوجد اتصال داخلي ذو معنى. إنها علاقة بدون علاقة حقيقية. في هذا الوضع، هناك بالتأكيد روابط وتفاعلات سببية وأداتية، لكن العالم (بكل صفاته) لا يمكن أن تستولي عليه الذات، ولا يمكن جعله «يتكلم»، فهو يبدو بدون صوت ولون. وبالتالي؛ فإن الاغتراب هو علاقة تتميز بغياب التبادل والارتباط الحقيقي النابض بالحياة: بين عالم صامت ورمادي وذات «جافة» لا توجد حياة، وكلاهما يبدو إما «مجمدًا» أو فوضويًّا حقًّا ومتبادلًا مكروهًا. ومن ثم، في حالة الاغتراب، تبدو الذات والعالم مرتبطين بطريقة غير مبالية تمامًا أو حتى عدائية. يحاول روزا في نظريته فض الاشتباك الجاف بين الذات والعالم. بالنسبة لروزا، يتجلى الاغتراب في «العلاقات العالمية الصامتة والباردة والجامدة والفاشلة». ويمكن عدُّه «نتيجة للذاتية المتضررة، أو التكوينات الاجتماعية والموضوعية المعادية للرنين، أو في الواقع نتيجة للتناقض أو المراسلات المفقودة بين الذات ومنطقة العالم». . بالمعنى الدقيق للكلمة، يرتبط الاغتراب ارتباطًا وثيقًا بالشعور بالغربة الذي يعيشه البشر. يتضمن الاغتراب الانفصال الضار للجهات الفاعلة الفردية أو الجماعية عن نفسها بعدِّها كيانات هادفة، قادرة على تشكيل الأبعاد الموضوعية والمعيارية والذاتية لوجودها. «إن إسكات جميع محاور الرنين يشير إلى الشكل المتطرف للاغتراب الفردي أو الثقافي على المستوى الوجودي. وكما تفترض جميع أشكال التمكين الشخصي والاجتماعي تنشيط الرنين، فإن قمع الرنين بواسطة عوامل داخلية أو خارجية يؤدي إلى الاغتراب الإنساني (Rosa Hartmut, 2016:297).

منذ السبعينيات فصاعدًا، كان مفهوم الاغتراب يمر بأزمة شرعية فكرية. وكانت هناك درجة كبيرة من عدم الارتياح بشأن استخدامه في الأشكال المعاصرة للتحليل الاجتماعي والسياسي. وهذا لا يعني

(*) Rosa Hartmut, The Idea of Resonance as a Sociological ConceptThe ideal of ever-fast, ever-more creates deep alienation. Theoretical Perspectives, July 09, 2018 .https://globaldialogue.isa-sociology.org/articles/the-idea-of-resonance-as-a-sociological-concept

أن مصطلح «الاغتراب» في طريقه إلى الزوال. ومع ذلك، فهو يشير إلى أنها فقدت رواجها الفكري. وفي القرن العشرين، أصبح هذا المصطلح عبارة عن شعار مبالغ فيه إلى حدٍّ ما للتعبير عن التحفظات بشأن الجوانب المرضية للواقع الاجتماعي. نظرًا لاستخدامه التضخمي، فقد تم استخدام مصطلح «الاغتراب» للإشارة إلى أي شكل من أشكال التعاسة أو السخط تقريبًا، الأمر الذي يعني أن معناه أصبح غامضًا بشكل متزايد، وربما مرنًا للغاية بحيث لا يمكن تشخيص الأمراض الاجتماعية بشكل دقيق (Rosa Hartmut, 2016:297).

ومن وجهة نظر روزا، من الضروري «تعريف «الآخر» في الاغتراب، وهو نقيضه». أي القدرة التحررية للرنين. إذا تم تفسير الاغتراب على أنه « نمط محدد للعلاقة (العالمية)»، يمكن وصفها بأنها «علاقة انعدام العلاقة». على الرغم من أن الممثلين قد يكونون مجهزين بالمكونات الأساسية (مثل: الأصدقاء، والأسرة، والوظيفة، والهوايات، وما إلى ذلك) لحياة اجتماعية تبدو غنية، إلا أنهم قد يشعرون بأنها غير مرضية. ولهذا السبب؛ فإن المقاربات التفسيرية التي تركز على الدور المهيمن المزعوم للصراع من أجل الموارد لا تقدم سوى القليل من المعرفة حول طبيعة الاغتراب البشري وأسبابه وعواقبه. كل من الأطر العقلانية (مثل: تعبئة الموارد ونظريات الممثل العقلاني) والتفسيرات العلائقية (مثل: ثالوث بورديو للمجال، والهابتوس، ورأس المال)، لأنها تفسر «سعة الحيلة» بشكل ضيق من حيث «تراكم الموارد». فشلوا في فهم مدى اعتماد تجارب تحقيق الذات والتحول الذاتي على عوامل أخرى مختلفة؛ مثل: القدرة البشرية على تعبئة إمكانات التمكين المستمدة من «محاور الرنين». وبعبارة أخرى، يعد الوصول إلى الموارد شرطًا ضروريًّا ولكنه ليس كافيًا لتحقيق الإنجاز الإنساني (Rosa Hartmut, 2016:305).

«علاقات اللاعلاقة». إذن، عبارة عن مجموعات اجتماعية «لا تعني شيئًا بالنسبة لنا -فنحن نعدُّها صامتة و/أو معادية». من ناحية أخرى؛ فإن علاقات الرنين هي مجموعات اجتماعية تعني شيئًا ما بالنسبة لنا، فنحن نختبرها على أنها مثمرة و/أو مستجيبة. في حين أن الاغتراب يعتمد على علاقات [أقل علاقات، يتم الحفاظ على الرنين من خلال العلاقات المحملة بالعلاقات]. فالأولى تضعف التمكين، وتمنع الجهات الفاعلة من تحقيق إمكاناتها؛ وتعمل الأخيرة على تمكين وتعبئة الجهات الفاعلة نحو تحقيق إمكاناتها. باختصار، يشير مصطلح «الاغتراب» إلى «شكل محدد من الارتباط بالعالم، حيث تكون الذات والعالم غير مبالين أو معاديين (مثيرين للاشمئزاز) لبعضهما بعضًا».. وعلى النقيض من ذلك، يشير مصطلح «الرنين» إلى طرق الارتباط بالعالم الذي تكون فيه المكونات الموضوعية والمعيارية والذاتية للواقع الإنساني مصدر الارتباط الحقيقي بالجوانب الحيوية لوجود الفرد.

في ظل ظروف الاغتراب، «يفشل التكيف مع العالم ، بحيث يبدو العالم باردًا، وقاسيًا، ومنفرًا، وغير مستجيب».. في ظل ظروف الرنين، يتجلى التكيف العالمي في تحول الموضوع، الأمر الذي يعني أن بيئة الفرد يتم اختبارها على أنها ذات معنى، وديناميكية، ومحفزة، وسريعة الاستجابة. بمجرد أن تصبح بعض (أو كل) محاور الرنين «صامتة أو صماء»، يخاطر المرء باختبار الوجود على أنه «شاحب، وميت، وفارغ».. وهذا النوع من السيناريو يعادل الاغتراب البشري .(Rosa Hartmut, 2016:316)

لتلخيص ذلك؛ فإن الرنين بوصفه الوجه الآخر للاغتراب يتم تعريفه بأربعة عناصر حاسمة: أولًا، عن طريق المودة بمعنى تجربة اللمس أو التأثر الحقيقي؛ ثانيًا، من خلال الحركة الإلكترونية بوصفها تجربة الكفاءة الذاتية المستجيبة (بدلًا من كونها ذرائعية بحتة)؛ وثالثًا، من خلال جودتها التحويلية؛ ورابعًا، من خلال لحظة جوهرية من عدم القدرة على التنبؤ، أي عدم القدرة على التحكم أو عدم القدرة على التصرف. لا يمكننا أبدًا إنشاء الرنين بشكل فعال أو إحداثه حسب الرغبة؛ يبقى دائمًا بعيد المنال. وبعبارة أخرى: ما إذا كنا «نسمع النداء» أم لا هو أمر خارج عن إرادتنا وسيطرتنا. ويرجع هذا جزئيًا إلى حقيقة أن الرنين ليس صدى، فهو لا يعني أن نسمع صوتًا مضخمًا أو أن نشعر ببساطة بالاطمئنان، ولكنه يتضمن لقاءً مع «آخر» حقيقي يظل خارج نطاق سيطرتنا، ويتحدث بلغته. صوتنا أو مفتاحنا مختلف عن صوته، وبالتالي يظل «غريبًا» بالنسبة لنا.

تاسعًا- استخدام الرنين كمقياس لعلم الاجتماع النقدي: تحديد لأبعاد الرنين.

الرنين بالتأكيد ليس مجرد تناغم أو انسجام؛ بل على العكس تمامًا، فهو يتطلب الاختلاف وأحيانًا التعارض والتناقض من أجل تمكين اللقاء الحقيقي. وبالتالي، في عالم متناغم أو متناغم تمامًا، لن يكون هناك صدى على الإطلاق، لأننا سنكون غير قادرين على تمييز صوت «الآخر». وبالتالي، لن نتمكن من تطوير وتمييز صوتنا. ومع ذلك؛ فإن العالم الذي لا يوجد فيه سوى التنافر والصراع لن يسمح بتجارب الرنين أيضًا: فمثل هذا العالم سوف يُختبر على أنه مجرد مثير للاشمئزاز. باختصار، يتطلب الصدى اختلافًا يسمح بإمكانية التحول الذاتي للتملك، وعلاقة مستجيبة تستلزم التحول والتكيف التدريجي والمتبادل. الرنين إذن هو شرط بين التناغم والتنافر الذي لا رجعة فيه. ولهذا السبب، يرى روزا بأن المفهوم يمكن أن يوفر المفتاح للتغلب على المواجهة التقليدية بين النظريات والفلسفات القائمة على الهوية والمفاهيم المتمحورة حول الاختلاف. الرنين لا يتطلب الهوية، بل الاستيلاء التحويلي للاختلاف .(Rosa Hartmut,2016:316-317)

لا تعني طبيعة الرنين غير القابل للتصرف والشبيهة باللحظة أنه عشوائي ومشروط تمامًا. لأنه في حين أنه لا يمكن أبدًا التحكم في التجربة الفعلية والتنبؤ بها بشكل كامل، إلا أن هناك عنصرين متضمنين هنا يعتمدان على الظروف الاجتماعية، وبالتالي يحولان الصدى إلى مفهوم يمكن استخدامه كأداة للنقد الاجتماعي. أولًا، يختبر الأفراد بشكل فردي وجماعي الرنين عادةً على طول «محاور» معينة للرنين. وهكذا، بالنسبة للبعض، توفر الموسيقى مثل هذا المحور بحيث إنه كلما ذهبوا إلى قاعة الحفلات الموسيقية، أو إلى الأوبرا، أو إلى ساحة المهرجان لديهم فرصة جيدة للحصول على تلك التجربة. بالنسبة للآخرين، سيكون المتحف أو المكتبة أو المعبد أو الغابة أو الشاطئ. والأكثر من ذلك، نحن أيضًا نعزز العلاقات الاجتماعية التي توفر ما يشبه محور الصدى الموثوق به. يمكننا أن نتوقع لحظات من الصدى عندما نكون مع أحبائنا، أو مع أطفالنا، أو مع أصدقائنا على الرغم من أننا جميعًا نعرف ذلك، في كثير من الأحيان، تظل لقاءاتنا غير مبالية أو حتى مثيرة للاشمئزاز. وكما نعلم من الأدلة التي قدمها علم اجتماع العمل، فإن الكثير من الناس يطورون علاقات مكثفة ذات صدى مع عملهم، ليس فقط مع زملائهم في مكان العمل، ولكن أيضًا مع المواد والمهام التي يعملون ويكافحون

فيها. وهكذا؛ فإن العجين «يستجيب» للخباز كما يستجيب الشعر للحلاق، أو الخشب للنجار، أو النبات للبستاني، أو النص للكاتب. وفي كل حالة من هذه الحالات، نجد علاقة حقيقية ثنائية الاتجاه تتضمن تجارب الكفاءة الذاتية، والمقاومة، والتناقض، والاستيلاء، بالإضافة إلى التحول المتبادل (Rosa Hartmut,2016: 317).

وعندما ندقق في هذه المحاور عن كثب، نجد أنه يمكننا التمييز بشكل منهجي بين ثلاثة أبعاد مختلفة للرنين: الأبعاد الاجتماعية والمادية والوجودية للرنين. المحاور الاجتماعية هي تلك التي تربطنا بالبشر الآخرين، وتربطنا بهم. في معظم المجتمعات المعاصرة، يُنظر إلى الحب والصداقة، وكذلك المواطنة الديمقراطية، على أنها علاقات «رنانة» من هذا النوع. المحاور المادية هي تلك التي نؤسسها بأشياء معينة: طبيعية أو صناعية، أو قطع فنية، أو تمائم، أو أدوات ومواد نعمل بها أو نستخدمها في الرياضة. ومع ذلك، فأنا أؤمن مع فلاسفة مثل كارل ياسبرز، ووليام جيمس، ومارتن بوبر بأن الأشخاص البشر أيضًا يبحثون ويجدون «محاور صدى» وجودية تربطهم بالحياة، أو الوجود، أو الكون في حد ذاته. وكلما حاول هؤلاء المؤلفون أن يبينوا بشكل مقنع تمامًا، فإن هذا هو ما يؤدي إلى التجارب الدينية، وما يجعل الدين معقولًا في المقام الأول. العنصر المركزي في الكتاب المقدس، أو القرآن، أو الأناشيد، هو فكرة أنه في جذور وجودنا، في قلب وجودنا، لا يوجد كون صامت، غير مبال، أو مثير للاشمئزاز، أو مادة ميتة، أو عمياء. آليات، بل هي عملية صدى واستجابة. وهناك بالطبع محاور أخرى ذات صدى وجودي لا تعتمد على الأفكار الدينية. فالطبيعة، على وجه الخصوص، تُختبر بوصفها واقعًا مطلقًا وشاملًا ومستجيبًا. لقد أصبح الاستماع إلى صوت الطبيعة فكرة مركزية، ليس فقط في الفلسفة المثالية، ولكن أيضًا في العديد من الممارسات الروتينية اليومية. وبطريقة مماثلة إلى حد لافت للنظر، يفتح الفن والموسيقى محورًا مشابهًا للمتلقي. في كل حالة، ليس من الضروري أن يكون الرنين تجربة ممتعة ومتناغمة، ولكنه يمكن أن يحتوي أيضًا على جوانب مزعجة بشكل أساسي .(Rosa Hartmut, 2016: 326) بينما يعدُّ روزا أن محاور الصدى الملموسة هذه ليست معطاة أنثروبولوجيًّا ولكنها مبنية ثقافيًّا وتاريخيًّا، فإن إنشاء بعض هذه المحاور لا غنى عنه لحياة جيدة، لأنها تتيح سياقات تكون فيها الذوات مستعدة للانفتاح على تجارب الرنين. يتطلب التحول إلى نمط من الرنين الاستعدادي المخاطرة بجعل أنفسنا عرضة للخطر. إنه يعني ضمنيًّا من الناحية المفاهيمية أننا نسمح لأنفسنا أن نتأثر، بل ونتحول، بطريقة لا يمكن التنبؤ بها ولا يمكن السيطرة عليها. وبالتالي، في السياقات التي نكون فيها ممتلئين بالخوف، أو التوتر، أو في وضع القتال، أو نركز على تحقيق نتيجة معينة، فإننا لا نسعى إلى الصدى أو نسمح به؛ بل على العكس تمامًا، فإن القيام بذلك سيكون خطيراً وضارًّا. بالنظر إلى هذا، يصبح من الواضح أنه سيكون من الحماقة أن نطالب بأن نكون دائمًا في نمط من الصدى الاستعدادي. إن القدرة على ترك هذا الوضع، والابتعاد عن العالم، واتخاذ موقف تحليلي بارد ومفيد تجاهه، هي بكل وضوح إنجاز ثقافي لا غنى عنه ليس فقط لمواصلة أعمال العلوم والتكنولوجيا الحديثة، ولكن أيضًا في الواقع توفر وتحافظ على شكل من أشكال الحياة يسمح بصدى الإنسان في الأبعاد الثلاثة المذكورة. مع هذا المفهوم الموجود

في مجموعة أدواتنا، يعتقد روزا أنه يمكننا البدء في استخدام الرنين كمقياس لعلم الاجتماع النقدي بمعنى نقد الظروف الاجتماعية السائدة. نقطة بدايتها هي فكرة أن الحياة الجيدة تتطلب وجود محاور رنين موثوقة وقابلة للحياة في الأبعاد الثلاثة. أزعم أن الشخص سيحظى بحياة جيدة إذا وجد وحافظ على محاور الرنين الاجتماعية والمادية والوجودية التي تسمح بالاطمئنان التكراري والدوري للاستجابة الوجودية والاتصال، أي نمط الرنين للوجود. إذن؛ فإن إمكانية مثل هذه الحياة الجيدة معرضة للخطر إذا تم تقويض شروط هذه المحاور ونمط التصرف في الرنين بنيويًّا أو منهجيًّا (Rosa Hartmut,2010:205).

إن النمط المؤسسي المهيمن لتحقيق الاستقرار الديناميكي، الذي يتطلب النمو المتواصل والتسارع والابتكار من أجل إعادة إنتاج البنية الاجتماعية والوضع المؤسسي الراهن، ينطوي حتمًا على الميل وإمكانية مثل هذا التقويض المنهجي، لأنه يجبر الرعايا على اتباع أسلوب «الاغتراب التصرفي»: إنهم مجبرون على اتباع أسلوب تجسيدي وأداتي في الارتباط بالأشياء والموضوعات من أجل زيادة وتأمين مواردهم، وتسريع وتحسين معداتهم. إن منطق المنافسة السائد بشكل خاص يقوض إمكانية الدخول في نمط من الرنين. فنحن لا نستطيع أن نتنافس ويتردد صدانا في وقت واحد. علاوة على ذلك، كما نعلم من الأبحاث حول التعاطف ومن الدراسات العصبية، فإن ضغط الوقت يعمل في الواقع كعامل مانع أكيد للرنين. وينطبق الشيء نفسه، بالطبع، إذا كنا مدفوعين بالخوف. يجبرنا الخوف على إقامة الحواجز وإغلاق عقولنا، وينقلنا إلى وضع نحاول فيه على وجه التحديد ألا يمسنا «العالم». ولذلك؛ فإن شروط الرنين تتطلب سياقات من الثقة المتبادلة والخوف؛ وهذه السياقات بدورها تتطلب الوقت والاستقرار كظروف أساسية. وأخيرًا؛ فإن المحاولات البيروقراطية السائدة للسيطرة بشكل كامل على العمليات والنتائج من أجل ضمان كفاءتها وشفافيتها، التي تحدد ظروف مكان العمل في أواخر العصر الحديث، تشكل مشكلة مماثلة بالنسبة لعلاقات الرنين، لأنها لا تتوافق مع عدم القدرة على التنبؤ وإمكانات التحول. ما نحتاجه إذن هو نقد شامل لظروف الرنين (Rosa Hartmut,2015) .

عاشرًا- تأملات نقدية حول القضايا الرئيسة(*):

دعونا ننظر في بعض القضايا الأساسية الناشئة عن دعوة روزا إلى علم اجتماع نظري رنيني للعلاقات العالمية. ومن المثير للاهتمام في هذا الصدد «دفاعه عن نظرية الرنين ضد منتقديها». مسعى يعبر -على حد تعبيره- عن «التفاؤل ضد المشككين». ويحفز هذا المشروع قناعتين رئيسيتين: أولًا، القناعة التشخيصية بأن «ظروف الرنين مضطربة ، الأمر الذي يشير إلى أن الحداثة خارجة عن التناغم»؛ ثانيًا، الاقتناع المعياري بأن «طريقة مختلفة للوجود في العالم، وشكل مختلف من العلاقات العالمية، أمر ممكن». لا شك أن إطار عمل روزا يرتكز على «عقيدة متفائلة». . رفض الفكرة القدرية القائلة بأن «الخوف الأساسي من تحول العالم إلى الصمت يتغلغل كتابه تقريبًا في كل جانب من جوانب الحداثة، ويصر روزا على أن هناك أسبابًا وجيهة للثقة في «وعده الأساسي لشكل ذي معنى

(*) Simon Susen; The Resonance of Resonance:Critical Theory as a Sociology of World-Relations?, International Journal of Politics, Culture, and Societyhttps://doi.org/10.1007/s10767-019-9313-6,13:30.

من الوجود في العالم». وعلى هذا الأساس؛ فإن الحداثة مدمجة في «الأمل في الصدى الأمر الذي أدى إلى «اشتداد الشوق إلى الرنين [ويتجلى في «البحث عن شكل أفضل للوجود في العالم]. بعد أن اعترفنا بإيمان روزا الراسخ بإمكانية «الحياة الطيبة»، دعونا نتأمل في دفاعه عن نظرية الرنين.

• لا بديل؟:

إحدى القضايا المركزية التي ظل المنظرون النقديون يتصارعون معها لبعض الوقت هي مسألة ما إذا كانت هناك أي إمكانية لتطوير أشكال حياة بديلة حقيقية، قادرة على التغلب على المنطق الخانق للهيمنة الاجتماعية. يبدو أن «تجسيد العالم» المنتشر في كل مكان و»سياق الوهم التام» الخبيث يمنعان الفاعلين البشريين من فهم الديناميكيات المرضية التي تحكم حياتهم. يبدو أنه لا يوجد مجال للتحرر إذا ما تفوقت القوة التحويلية للتسوية على القوة المحافظة للحفظ الدائم في تحديها لهذه النظرة المتشائمة، يؤكد روزا أن «الأشخاص ليسوا منعزلين أو مخدوعين تمامًا». . إذا كان الأمر كذلك، فلن يكونوا قادرين على العمل كأعضاء كاملي العضوية في العالم الاجتماعي. لا يمكن تغريب الأشخاص وخداعهم تمامًا لأنهم «منغمسون بالفعل في علاقات الرنين بل ويخرجون منها» . الرنين ليس واحدًا من بين العديد من العلاقات العالمية الأخرى؛ بل هو العلاقة الإنسانية العالمية بامتياز -أي أنها «العلاقة العالمية الأولية التي تنشأ منها الذات والعالم التجريبي كحقائق تجريبية». يتوقف الإنسان في العالم على البناء المستمر وإعادة البناء لعوالم محملة بالرنين بالتأكيد، «تجسيد الرنين هي سمة مثيرة للقلق في المجتمعات الرأسمالية، حيث يتم، بفضل التقنيات التكاملية المستخدمة بشكل استراتيجي في سوق العمل»، «اقتصاد القدرات المتعاطفة والحماسية كموارد إنتاجية».. على الرغم من القوة السائدة لعمليات التسليع شبه المنتشرة في التشكيلات الرأسمالية المتقدمة، لا يزال لدى البشر رغبة قوية في تجربة أنماط الرنين الغنية حقًّا، التي تتجاوز أصالتها الأفق المحدود للوجود النظامي.

التأمل الأول: بشكل عام، قد يكون إصرار روزا على إمكانية إنشاء أشكال حياة تحررية له ما يبرره. وبشكل أكثر تحديدًا، يصف روزا الرنين بشكل مقنع بأنه «نمط علائقي ... يمكن القول إن «علم اجتماع» لا يقل أهمية عن «علم اجتماع العلاقات العالمية على وجه الدقة»، يجب أن يحتوي كلا التصنيفين على صيغة الجمع، إذن علم اجتماع العلاقات العالمية، قادر على استكشاف الطرق المتعددة التي يرتبط بها الفاعلون البشريون ببيئاتهم، الأمر الذي يمكننا من بناء علاقات مستقرة نسبيًّا ويمكن التنبؤ بها. وفي الوقت نفسه، نعتمد على التفاعلات اليومية، التي من خلالها ننسب المعنى إلى العالم في سياقات متغيرة مكانيًّا وزمانيًّا. لا يوجد عالم عالمي بدون عالم محلي، لأننا لا نستطيع بناء محاور صدى -بما في ذلك الروابط الاجتماعية القوية- إلا بقدر ما يمكننا الارتباط بشيء ما. مهما كان سريع الزوال؛ فقط بقدر ما نكون مدمجين في محاور الرنين الموجودة بالفعل، والمتغيرة دائمًا. إن أي بحث عن أشكال الحياة التحررية يحتاج إلى استخلاص موارده المحملة بالرنين من الجدلية التي لا مفر منها.

• لا الاغتراب؟:

بالنسبة لروزا، يرتبط الاغتراب ارتباطًا وثيقًا بغياب الرنين، أو على الأقل انقطاعه. يمكن تعريف الاغتراب على أنه «فك الارتباط «البارد»»، تنطوي على خيبة أمل الشخص في جوانب معينة من العالم. إن احتمال الاغتراب في حد ذاته يفترض مسبقًا أن الأشخاص قادرون على تعليق الرنين عندما يجدون أنفسهم عالقين في ظروف تمنعهم من ممارسة درجات تمكينية من الاستقلالية الهادفة. تشكل القدرة على عدم الامتثال أسلوبًا ثقافيًّا يستحق الدفاع عنه، لأنه يسمح للفاعلين بتجنب العلاقات التي يرون أنها تنفرهم، وبالتالي، فهي خالية من الصدى. إن القدرة على عدم الامتثال من خلال عدم توفير صدى، وعندما يرغب الممثلون في القيام بذلك هي «قدرة أساسية لا غنى عنها». فهو يسمح لهم بالاعتماد على المعايير المعيارية التي تقوم عليها معتقداتهم وأفعالهم عند التنقل عبر العالم الاجتماعي.

تجارب الاغتراب، إذن، لا يمكن فصلها عن «القدرة على تعطيل أو استئصال الأصداء [المستمرة]» . مثلما يمتلك البشر «الحق الأساسي في تحقيق الرنين»؛ فإن لديهم «الحق الأساسي في رفض الرنين» لا يمكن تصور التفاعل الاجتماعي المستدام دون «الرنين الاستعدادي» و«الطمأنينة الرنينية»، الأمر الذي يمنح الممثلين الفرصة للمشاركة في بناء الحياة اليومية من خلال تنمية «موقف حواري منفتح». . ومع ذلك، يحدث الاغتراب عندما يرفض الممثلون التعامل مع بيئتهم بطريقة تسعى إلى الصدى، وبالتالي ذات معنى.

لكي نكون واضحين، يشكل الاغتراب جزءًا لا يتجزأ من المجتمع الحديث. في الواقع، التقدم التكنولوجي مستحيل دون درجة معينة من الاغتراب البشري. سيكون من المضلل التغاضي عن «الإنجازات الهائلة للعلوم الطبيعية والتكنولوجيا»، التي أسهمت بشكل كبير في التطورات الحضارية، أبرزها تحسين نوعية الحياة لقطاعات كبيرة من سكان العالم. على الرغم من الدرجات العالية من التشيُّؤ التي ربما يكون قد ولّدها، فقد أوجد التقدم التكنولوجي الشروط المسبقة لتوفير «ظروف عالمية رنانة للجميع»، الأمر الذي يؤدي إلى توزيع أفضل للموارد وتحسين نوعية الحياة لعدد أكبر من الناس.

ومن وجهة نظر روزا؛ فإن العلاقات العالمية «الصامتة» ليست فقط لا يمكن تجنبها، ولكنها أيضًا، في كثير من الحالات، ضرورية أو حتى مرغوبة؛ كما هو الحال، على سبيل المثال، في العلوم والتكنولوجيا. وكما يمتلك الأفراد الحق في نفي الرنين؛ فإن بناء مجتمعات شديدة التمايز لا يمكن تصوره دون ظهور أشكال مؤسسية من العلاقات العالمية غير الرنانة. وبعبارة صريحة، فإن الاغتراب هو الثمن الذي ندفعه مقابل التطورات الحضارية، بما في ذلك العلمية والتكنولوجية.

التأمل الثاني: قضية الاغتراب هي قضية معقدة للغاية. ما الذي يمنح المنظرين النقديين («المستنيرين») السلطة المعرفية لإخبار الناس العاديين («المراد أن يكونوا مستنيرين») أنهم مغتربون؟ ويصبح الوضع أكثر تعقيدًا إذا لم يتجاهل الأخير المخاوف التي أعرب عنها الأول فحسب؛ بل استمتع أيضًا بالعناصر التي تبدو مثبطة للقدرة والمرتبطة عادة بالاغتراب. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك النزعة الاستهلاكية الرأسمالية والترفيه الجماهيري، والأصولية والقبلية، والباطنية والتصوف، ومذهب المتعة والهروب، والشعبوية والاستبداد. من نحن، كمنظرين نقديين، لنؤكد أن أولئك الذين يستمتعون بهذه الأنواع (أو غيرها) من «الاغتراب» هم ضحايا الهيمنة الاجتماعية؟

- لا يوجد صدى «رجعي»؟:

هل روزا على حق في افتراض أن فكرة الرنين «الرجعي» هي تناقض في المصطلحات؟ وهو يعترف بأن المجتمعات الفاشية يبدو أنها تعمل على تعزيز علاقات الصدى بين أولئك الذين يعدُّون «من الداخل» في مجتمعهم «الوطني». وهو يصر، مع ذلك، على أن الاغتراب هو الشرط المسبق لنوع «الصدى» الذي تعززه هذه المجتمعات، حيث إنها تقوم على الإقصاء المنهجي لأولئك الذين لا يعدُّون أعضاءً كاملي العضوية في المجتمع «الوطني». قد يحدث هذا لعدة أسباب لا سيما على أسس أيديولوجية (التمييز ضد المعارضين السياسيين والمنشقين)، وعلى أسس قبلية (التمييز ضد مجموعات ثقافية و/أو عرقية و/أو «عنصرية» معينة)، وعلى أسس معيارية مغايرة (التمييز ضد المثليات والمثليين ومزدوجي التوجه الجنسي). أو المتحولين جنسيًّا أو ثنائيي الجنس أو المثليين و/أو اللاجنسيين)، أو لأسباب تحسين النسل (التمييز ضد الأشخاص المعاقين عقليًّا و/أو جسديًّا). في ظاهر الأمر، التشكيلات الفاشية مجهزة بـ "تقنيات رنين ممتازة" ومع القدرة على إنشاء «مناطق رنين فعالة للغاية»، تسمح زراعتها المستدامة والمنهجية لقادتهم السياسيين بالقيام بمزامنة في المجتمع، وهي سمة من سمات الحكم الشمولي. لكن في عالم روزا الاجتماعي، يختلف الرنين اختلافًا جوهريًّا عن الصدى . فالأول يقوم على التعامل مع «الآخر» وإدماجه، في حين يقوم الأخير على قمع «الآخر» واستبعاده. يتطلب الأول المشاركة والاحترام المتبادلين، و«الحوار بين كيانين مستقلين أو أكثر»، وتنمية الفردية من خلال إثراء تجارب الحياة الاجتماعية، وتكامل «الآخر». والأخير يتطلب «الرغبة في الاندماج «. تحلل الفردية باسم مجتمع متخيل، وفصل، أو حتى القضاء، على «الآخر». علاوة على ذلك، يجب عدم الخلط بين الرنين والتناغم. فالأول يتغذى بعمليات حوارية لا تكون فيها التناقضات والتنافرات مقبولة أو مقبولة فحسب، بل مرغوبة أيضًا. والأخير يقوم على وهم «الوحدة والانسجام والتقارب»، الأمر الذي يجعل من الصعب، إن لم يكن من المستحيل، على الأفراد «تنمية أصواتهم الخاصة». ناهيك عن «التعامل مع صوت آخر». بالنسبة لروزا، يعد التكيف التحويلي عنصرًا أساسيًّا في العلاقات الاجتماعية الغنية بالرنين.

التأمل الثالث: قد يتعاطف المرء مع ادعاء روزا بأن الرنين الحقيقي هو، بحكم تعريفه، تحرري. ولكن من الصعب أن نتجاهل حقيقة أن هناك إشكالية كبيرة في الممارسات التي قد «يتردد صداها» لدى أولئك الذين يقومون بها. لا تعتمد الأنظمة الفاشية على تقنيات وأنشطة توليد «الرنين» فحسب؛ بل توفر أيضًا مجالات من «الرنين» التي يعدُّها مؤيدوها «ملهمة» و«محفزة». وينطبق الشيء نفسه على العديد من المساعي الرجعية الأخرى التي قد يتماثل معها المنغمسون فيها بطريقة رنانة. وما لم يوفر روزا أسسًا معيارية متينة لتبرير القيمة التحررية لممارسات معينة محملة بالرنين، فمن الممكن وصف أي مجموعة من المجموعات الفاعلية والبنيوية تقريبًا بأنها «تمكينية»، على الأقل من وجهة نظر أولئك الذين يؤيدونها. يجب أن تكون الأسس المعيارية التي يمكن الدفاع عنها واسعة ومرنة بما يكفي لتشمل مجموعة واسعة من الجهات الفاعلة والأنشطة والترتيبات وضيقة وقاطعة بما فيه الكفاية لاستبعاد الديناميكيات الرجعية من مظلتها التعريفية.

- لا يوجد صدى «سلبي»؟:

إن مسألة ما إذا كان هناك شيء مثل الرنين «السلبي» أم لا هي واحدة من أكثر القضايا المثيرة للجدل الناشئة عن الإطار المفاهيمي لروزا. يمكن للمرء أن يجادل، على سبيل المثال، بأن عمل العنف يمكن أن يُنظر إليه على أنه شكل من أشكال الصدى، على الأقل من وجهة نظر مرتكب الجريمة (وفي بعض الحالات، حتى من وجهة نظر الضحية). وعلى المنوال نفسه، يمكن للمرء أن يؤكد أن النفور -إلى درجة أنه، بالمعنى المرضي، قد يعكس حالة عاطفية يتمتع بها بعض الناس- يمكن تفسيره على أنه نمط من الرنين. ومع ذلك، ووفقًا لروزا، فإن العلاقات التي يدعمها الرنين تنطوي على «شكل إيجابي بشكل عام من اللقاء مع العالم». في حين أن العلاقات التي تضررت بسبب الاغتراب تثير «تجارب اللامبالاة أو تجارب النفور».

روزا ليس على استعداد للتمييز بين «اللامبالاة» و«الصدى السلبي أو الإيجابي». لأنه، في نظره، «الرنين السلبي» هو تناقض لفظي؛ أي إن الرنين لا يمكن تصوره إلا كتجربة إيجابية. نظرًا لدستوره المشروط اجتماعيًّا، فإن «الرنين التصرفي هو موقف يقبل بوعي الضعف ويعتمد على الانفتاح»، في حين أن «التنافر هو علاقة عالمية يكون فيها التصلب والانغلاق (الداخلي) ضروريين». الأول ينطوي على «الوصول إلى الآخر بالمعنى الحواري». وهذا الأخير يستلزم ظهور «العلاقات العالمية الصامتة»، ويتجلى في تجارب «الاغتراب». عندما يُجبر شخص ما على الاستجابة أو التصرف بطريقة معينة، فإننا نترك مجال تقرير المصير وندخل في عالم التلاعب أو الإكراه أو الهيمنة أو حتى -في ظل الظروف القصوى- العنف. بالطبع، يمكن أن يكون بنيويًّا. في المجتمعات الحديثة، على سبيل المثال، العنف الهيكلي الذي تمارسه «قيود التسارع وضغوط المنافسة» يمكن أن يؤدي بسهولة إلى «انسداد الرنين»، منع الممثلين من تطوير علاقات مُرضية مع بيئاتهم المادية والاجتماعية، وفي النهاية، مع أنفسهم.

التأمل الرابع: إن تأكيد روزا أنه سيكون من الخطأ افتراض أن تجارب العنف، في بعض الحالات، تكون بمثابة تجارب الرنين، هو أمر مشكوك فيه. النقطة المهمة هنا ليست إنكار الطبيعة الضارة للعنف، بل إدراك أن الجهات الفاعلة -سواء على الطرف المعطي أو المتلقي- قد تنظر إلى ممارسة العنف كمصدر للصدى. في الممارسات السادية المازوخية، قد يُنظر إلى إلحاق الألم أو الإذلال، على أساس درجات متفاوتة من العنف، كمصدر للمتعة من قبل أولئك الذين يشاركون طوعًا في مثل هذه الأنشطة. ويبدو من التبسيط، إن لم يكن من قبيل التعالي، استبعاد مثل هذه الأنماط من السلوك بوصفها تفتقر إلى الصدى لدى أولئك الذين يشاركون فيها عن طيب خاطر.

• لا يوجد صدى «خالٍ من القيمة»؟:

سؤال مهم آخر هو إلى أي مدى يمكن اعتبار «الرنين» مفهومًا محملًا بالقيمة، وليس مفهومًا خاليًا من القيمة، ويمكن استخدامه كمعيار مرجعي، بالإضافة إلى وصف عنصر أساسي في حياة الإنسان («الأصداء موجودة») لتقييم ظروف الحياة («يجب أن تكون الأصداء موجودة»). «الرنين» إذن هو مفهوم وصفي ومعياري في الوقت نفسه.

على المستوى الوصفي، يمكننا أن نلاحظ أن «الموضوعات البشرية والوعي الإنساني يتطوران داخل وخارج علاقات الصدى بين مركز الخبرة والشيء الذي تمت مواجهته». . إن الانغماس في

العلاقات المحملة بالرنين أمر بالغ الأهمية لإمكانية التنمية الفردية والجماعية، بما في ذلك ازدهار الإنسان. بطريقة علائقية، يفترض روزا أن البشر والعالم الذي يواجهونه «هو دائمًا نتيجة العلاقات، وليس متطلباتهم». . في الواقع، العلاقات المحملة بالرنين موجودة في حياتنا حتى قبل أن نولد. «إن الطفل، وربما حتى الجنين، يختبر ويعيش في صدى، قبل وقت طويل من قدرته على قول «أنا»؛ وفي الواقع، فهو يتعلم القيام بالأمر الأخير فقط من خلال الأول. إن تطور سلامتنا الجسدية -بما في ذلك أعضائنا الرئيسية- لا يمكن فصله عن الوصول إلى تجارب الرنين. كما هو موضح في الدراسات العصبية؛ فإن الدماغ هو في الأساس «عضو علائقي»، والتي بدونها لن يتمكن البشر من تجربة الرنين. الرنين، بعيدًا عن أن يشكل مسألة ميتافيزيقية، «هو عاطفي، وعصبي، وقبل كل شيء، حقيقة فيزيائية تمامًا». . إنها الطريقة الأساسية التي يرتبط بها الإنسان بالعالم. على الرغم من طبيعته العالمية، لا يمكن فصل علاقات الرنين عن الظروف الخاصة التي تندرج فيها، والعكس صحيح. «إن جميع أشكال الحياة الراسخة ثقافيًّا تنتج عن علاقات الصدى في عوالم محددة من العالم. وبهذا المعنى؛ فإن العلاقات العالمية المُجسدة والصامتة والمتباعدة هي نتاج التعلم الاجتماعي والثقافي؛ إنها تقنية ثقافية. باختصار، يشكل كل من الرنين والاغتراب تجارب تنشأ من أشكال الحياة الطارئة اجتماعيًّا وثقافيًّا، والتي بدورها تشكلها.على المستوى المعياري، يحثنا روزا على إدراك أن «الحياة، في جوهرها، هي البحث عن الصدى والجهد المبذول لتجنب الاغتراب الدائم». . إن الوضع الاجتماعي التأسيسي لكل من الرنين والاغتراب ليس من قبيل المصادفة: فكما أن «الكائنات البشرية تتوق إلى تجربة العالم بطرق تحمل ورعاية وتدفئة واستيعاب، وتجربة أنفسهم كفاعلين فيه، فإنهم خائفون من العالم الصامت الذي لا يرحم، والذي يتعرضون له بلا حول ولا قوة. . في حين أن الرغبة في الصدى والنفور من الاغتراب أمرين عالميين؛ فإن الظروف التي يعيشان فيها كلاهما خاصة. تكون بعض البيئات الاجتماعية أكثر ملاءمة للسماح بتحقيق الأول، في حين أن بعض آخر من المرجح أن يعزز وجود الأخير. ومع ذلك؛ فإن النقطة الأساسية بالنسبة لروزا هي قبول فكرة أن مفهوم الرنين يمكن أن يكون بمثابة «مقياس للنقد الاجتماعي» بامتياز. وعلى هذا الأساس؛ فإن قيمة «العلاقات العالمية الراسخة ثقافيًّا ومؤسسيًّا» يمكن (وينبغي) تقييمها من حيث «جودة الرنين» التي يولدونها وبها تتولد. وبدلًا من قياس جودة الحياة بشكل غير مباشر بالرجوع إلى «زيادة الثروة المادية والخيارات والموارد»، يمكن (بل وينبغي) تقييمها من خلال فحص جودة العلاقات العالمية؛ لا سيما فيما يتعلق بقدرتها على تعزيز تجارب الرنين، وبالتالي تقليل خطر الاغتراب. ووفقًا لهذا التفسير؛ فإن «الحياة الطيبة هي تلك التي تكون غنية بتجارب الرنين، التي تتوافر فيها، في الوقت نفسه، محاور صدى ثابتة». . باختصار، الحياة الطيبة هي شكل من أشكال الوجود الغني بالرنين.

التأمل الخامس: يقدم روزا حجة قوية لوجهة النظر القائلة بأن «الرنين» يمكن عدُّه مفهومًا وصفيًّا ومعياريًّا. ومع ذلك؛ فإن الادعاء بأنه يمكن أن يكون بمثابة مقياس للنقد الاجتماعي، هو في أحسن الأحوال إشكالي، أو في أسوأ الأحوال، لا يمكن الدفاع عنه. وكما اعترف روزا، هناك العديد من العناصر الأساسية الأخرى للوجود الإنساني؛ مثل: العمل، والفعل التواصلي، والاعتراف المتبادل،

والتبرير، والتعبير الفني. يمكن القول إن هذه العناصر لا تقل أهمية عن الرنين في بناء أشكال الحياة التحررية. هناك مسألة صعبة أخرى في هذا الصدد، وهي مسألة كيفية قياس «جودة العلاقات العالمية» من حيث «جودة محاور الرنين» التي تظهر داخلها. هل ينبغي لعلماء الاجتماع النقديين أن يعتمدوا على الموضوعية، معايير معيارية أو ذاتية (أو في الواقع مزيج منها) لإصدار أحكام دقيقة حول جودتها؟ والأهم من ذلك، ماذا يحدث إذا كانت هذه غير متزامنة؟ على سبيل المثال، قد تتعارض المعايير المطبقة في العلوم (‹‹الموضوعية››) مع تلك المستخدمة في المجالات الاجتماعية الأخرى (‹‹المعيارية››) وقد تتعارض مع تلك التي يحشدها أفراد معينون (‹‹الذاتية››). يحتاج علم اجتماع العلاقات العالمية الذي يركز على الصدى إلى مراعاة التناقضات المحتملة أو الفعلية بين مستويات الإدراك هذه، إذا كان يسعى إلى توفير فهم شامل حقيقي للاختلافات النوعية بين «الحياة الجيدة» و«الحياة السيئة».

التأمل السادس: ‹‹الحياة الجيدة››؟ في مواجهة «الوحدانية المعيارية» لروزا، الذي بموجبه يمكن عدّ «الرنين» «معيارًا فوقيًّا للحياة الطيبة»، السؤال الذي يطرح نفسه: ما الأبعاد الأخرى الضرورية لتحرر الإنسان؟ من وجهة نظر روزا «نقد لظروف الرنين» أكثر جوهرية من «نقد شروط الاعتراف [هونيث]، والتوزيع [فريزر]، والإنتاج [ماركس]»، الاتصال [هابرماس]، التبرير [فورست]، أو أي عنصر رئيسي آخر في الوجود الإنساني. وعلى الرغم من أهمية كل منهما، فإن ما هو على المحك هو الدرجة التي تمكن بها الترتيبات المتغيرة تاريخيًّا من ظهور الرنين أو تعرقله. تعيق الظروف الاجتماعية القمعية تطوير أشكال محددة من الرنين (لا سيما الثقافية أو السياسية أو الفكرية أو الروحية أو الجسدية أو الجنسية أو الجمالية أو الفنية). على النقيض من ذلك، تسمح الظروف الاجتماعية التحررية للأشخاص بإدراك أنفسهم -والأهم من ذلك، تحويلها- من خلال البناء على هذه الأشكال من الرنين، الأمر الذي يعني ضمنيًّا أنهم يستطيعون التحدث «بأصواتهم الخاصة».

إن البحث عن الرنين يؤدي دورًا محوريًّا في بناء الحياة الاجتماعية. ومع ذلك، سيكون من الخطأ تصوير الرنين على أنه مورد شبه متعالٍ متاح دائمًا بالفعل للجهات الفاعلة البشرية. بيت القصيد هو الإصرار على عدم توافرها المحتمل: إن فكرة الرنين الدائم الشامل لا تخدم كأفق للأهداف المعيارية. يحدث الرنين في المقام الأول في تجارب سريعة الزوال؛ فعدم توافرها هو سمة تأسيسية، الأمر الذي يعني أنه لا يمكن إنفاذها، أو الاحتفاظ بها، أو الحصول عليها للأبد. إن الرنين، في ظل ظروف الوجود غير المعوض في العالم، ليس سوى توهج الأمل في التكيف والاستجابة في عالم صامت.

إن وجود الصدى لا يرقى إلى مستوى نوع من اليوتوبيا الدائمة أو السعي العقائدي وراء السرد الأيديولوجي. وبدلًا من ذلك؛ فإن الرنين يكون دائمًا هشًّا، لأن الجهات الفاعلة الأكثر تحقيقًا لذاتها لا تستطيع تجاوز عدم توافرها الكامن. «لا ينبغي إساءة تفسير نظرية الرنين على أنها عقيدة الخلاص» . في الواقع، يُفهم الاغتراب على أنه «وجود مستمر لآخر غير قابل للتكيف» هو «شرط مسبق لإمكانية الرنين». لا يوجد صدى دون الاغتراب. عند المرور بمرحلة البلوغ، على سبيل المثال، تكون تجربة الاغتراب شرطًا لتطوير «رنين العمق»، الذي من خلاله يتعلم الأفراد التعبير عن أصواتهم.

إن أية محاولة لاختزال العالم الاجتماعي إلى «ديكتاتورية الرنين» سوف تمتلك «خصائص

شمولية، وبالتالي فهي مدمرة للرنين». . بالنسبة لروزا، «الحق في إنكار الرنين» يشكل «حقًّا أساسيًّا من حقوق الإنسان»: من حق البشر أن يحجبوا صدى أصواتهم إذا شعروا بالغربة عن فرد أو جماعة أو موقف معين. تتكون «الحياة الجيدة» من ممارسات وهياكل تحررية يمكن أن تتطور فيها محاور الرنين التأسيسية، الأمر الذي يسمح بـ «تجارب متكررة من الرنين (العابر والعملي والتحويلي)». على العكس من ذلك، يتم استعمار «الحياة السيئة» من خلال الممارسات والهياكل القمعية التي يتم فيها إجبار الأشخاص، أو على الأقل إغراؤهم، على عيش حياة فقيرة تسود فيها العلاقات العالمية المنعزلة والمغتربة.

- انعكاس:

إن نداء روزا من أجل «الوحدانية المعيارية» مدفوع بالاقتناع بأن الرنين يمكن؛ بل ينبغي، عدّه «معيارًا فوقيًّا للحياة الطيبة». يقبل روزا أن هناك عدة أبعاد أخرى ضرورية لبناء أشكال الوجود التحررية. ومع ذلك؛ فإن تأكيده على أن «الحياة الطيبة» ليست غنية بالتجارب المحملة بالرنين فحسب، بل قادرة أيضًا على توفير محاور رنين مستقرة، ليس أمرًا خاليًا من الإشكاليات. (أ) محاور الرنين المستقرة نسبيًّا -رغم أنها حيوية من الناحية الاجتماعية في توليد أشكال حياة راسخة نسبيًّا، وبالتالي يمكن التنبؤ بها وقابلة للحياة- قد تؤدي إلى مستويات اعتيادية مفرطة من التكرار، يتم التعبير عنها في تجارب البلادة والملل. في الواقع؛ عندما يحدث هذا، فإنها تتوقف عن كونها محاور رنين، ومن المفارقة أنها تتحول إلى محاور الاغتراب. (ب) قد تكون محاور الصدى غير المستقرة إلى حدٍّ كبير -رغم أنها لا تستطيع على المدى الطويل إنتاج علاقات اجتماعية مستدامة- مصدرًا رئيسيًّا للإلهام والإبداع والتنوير والتحرر، ولا سيما في لحظات الأزمات الشخصية أو الاجتماعية، الأمر الذي يلزم الفاعلين باستدعاء ترتيب معين للأشياء موضع التساؤل. (ج) ليس من الواضح على أي أساس يمكن افتراض أن بعض أشكال الرنين مرغوبة أكثر من غيرها. باختصار، لا تزال فكرة «الحياة الطيبة» مثيرة للجدل، لأنها لا يمكن أن تتحقق بالكامل.

التأمل السابع: يصر روزا على أن الرنين قابل للتشغيل، وبالتالي يمكن دراسته وقياسه علميًّا. وعلى هذا الأساس، فإن الرنين -بعيدًا عن كونه قابلًا للاختزال إلى مجرد حالة عاطفية أو ذاتية- يشكل علاقة موضوعية موجودة بين كيانين (أو أكثر). ولكن في قلب تحليله تكمن مفارقة غريبة. فمن ناحية، يرغب في تجنب «الأساسيات غير المبررة»، مدعيًا أنه «ليست هناك حاجة للافتراضات الجوهرية حول الجوهر الحقيقي للطبيعة البشرية». وبدلًا من ذلك، ينبغي لنا، بطريقة اجتماعية بنائية، أن نواجه «التنظيم والتوجه التاريخي والثقافي للعالم». . ومن ناحية أخرى، فهو يفترض ضمنيًّا وجود شيء اسمه «الطبيعة البشرية». لأنه من المفترض أن توجهنا الذي يبحث عن الصدى يشكل ثابتًا أنثروبولوجيًّا؛ أي حالة وجودية تأسيسية مدمجة في جميع المجتمعات البشرية وجميع البشر. إن الاغتراب بمصطلحات نظرية الرنين يعني اغترابنا عن قدرتنا على الاعتماد على تجارب الرنين ومحاوره. في علم الاجتماع المعاصر، قد لا يكون من الشائع وضع افتراضات تأسيسية حول طبيعة البشر. ومع ذلك؛ فمن الصعب أن نرى كيف يمكن الدفاع عن فكرة قوية للاغتراب، ناهيك

عن الرنين، دون الاعتراف بأننا، كأعضاء من النوع نفسه، نتشارك في عدد من الخصائص، السمات الأساسية – أي المكونة للأنواع.

• النزعة العرقية؟:

السؤال المهم هو ما إذا كانت نظرية الرنين التي طرحها روزا متهمة بالمركزية العرقية أم لا. يركز روزا على مجالات الصدى الغربي: الأسرة، والصداقة، والسياسة (أفقي)؛ الأشياء والعمل والمدرسة والرياضة والاستهلاك (قطري)؛ الدين والطبيعة والفن والتاريخ (عمودي). عوالم الرنين مشروطة ثقافيًا. ليس من المفاجئ إذن أن يعترف روزا بأن جوهر تشخيص الكتاب يكمن في «نقد ظروف الرنين (المتأخرة) الحديثة، على أساس العلاقات العالمية الرأسمالية الغربية على وجه التحديد». وأنه، «بهذا المعنى، ليس من الممكن تعميمه تاريخيًا ولا عبر ثقافيًا».

في دفاعه، يؤكد روزا أن العديد من «الأشكال المؤسسية للعلاقات العالمية الاقتصادية والسياسية والقضائية والاستهلاكية والعلمية والتكنولوجية» التي يشير إليها في بحثه، انتشرت في سياق العولمة عبر الكوكب بأكمله. والأهم من ذلك، أنه يؤكد أنه لا يمكن تصور نظرية شاملة للرنين دون «تحقيقات تاريخية ومقارنة للتقاليد الثقافية المختلفة والترتيبات المجتمعية». . ومن وجهة نظره، لا يتم ذلك إلا بفضل «الحوار البناء مع التقاليد الأخرى غير الأوربية». إنه من الممكن تقدير «تنوع وتقلب واحتمالية محاور الرنين المحتملة»، ناهيك عن حقيقة أن مثل هذا المسعى العابر للثقافات يكشف الخصوصية التاريخية لـ «ظروف التشيؤ الغربية». . باختصار، في حين أن نهج روزا لا يدعي أنه خالٍ من النزعة العرقية، فإنه يفترض أن هناك حاجة إلى تحليل مقارن وعبر ثقافي وعالمي لمراعاة مجموعة واسعة من محاور الصدى التي تظهر في سياقات تاريخية مختلفة.

التأمل الثامن: روزا يستحق الثناء لاعترافه بأن نظريته في الصدى لا تتجاوز الحدود المعرفية للمركزية العرقية. ويتجلى هذا القيد في اهتمام روزا بمجالات الصدى الغربية النموذجية، وفي نقده لأشكال الاغتراب الناشئة عن العلاقات الرأسمالية العالمية. وهو يؤكد بحق على أن هناك حاجة إلى تحليل مقارن وشامل للثقافات وعالمي لمراعاة التعقيد والتنوع في محاور الرنين التي قد يواجهها المرء في سياقات مختلفة في جميع أنحاء العالم. لكن ما يفتقده إطاره هو التمييز بين ما يمكن تعميمه وما لا يمكن تعميمه من جوانب الرنين (وفي هذا الصدد، الاغتراب). بوصفنا علماء اجتماع في العلاقات العالمية، نحتاج إلى أن نكون قادرين على التمييز بين أبعاد الرنين الموجودة في جميع المجتمعات و/أو التي تعدُّ حيوية لجميع الأفراد، وتلك التي توجد فقط في بعض المجتمعات و/أو التي تعدُّ حيوية لبعض المجتمعات فقط؛ فرادى. وقد يكون التصنيف المذكور أعلاه للمعايير الموضوعية والمعيارية والذاتية ذا قيمة في هذا الصدد. تعدُّ جوانب الرنين القابلة للتعميم «موضوعية» بمعنى أنه لا يمكن إنكار ضرورتها الواقعية بشكل جدي. على النقيض من ذلك؛ فإن جوانب الرنين غير القابلة للتعميم هي «معيارية» و«ذاتية» بمعنى أن طوارئها الاجتماعية والثقافية وتقلبها الشخصي هما مصدران للمسارات التفاضلية للفاعلية البشرية.

• التقاطعية؟:

هناك تهمة خطيرة أخرى ضد نظرية الرنين التي طرحها روزا، وهي أنها تظل عمياء عن الاختلافات الجوهرية الموجودة بين المجموعات الاجتماعية، لأنها تعرض العلاقات العالمية بطريقة شمولية. ردًّا على هذا الاتهام، يلفت روزا الانتباه إلى العنوان الفرعي لكتابه: ويصر على أن هذا العنوان الفرعي يؤكد اهتمامه الاجتماعي بتكوين الطرق المتعددة التي يتفاعل بها الناس العاديون مع العالم ويتفاعلون معه ويعملون عليه من خلال إقامة علاقات من نوع أو آخر. طموح روزا ليس استكشاف «الإنسان في العالم بالمعنى الأنثروبولوجي». وهذا، في رأيه، هو مشروع تمت متابعته بالفعل من قبل العديد من الباحثين، ولا سيما من قبل فلاسفة الظواهر، وعلماء النفس، وأطباء الأعصاب. وبدلًا من ذلك، يتمثل أحد الجوانب الحاسمة في مساعيه في تسليط الضوء على «الاختلافات والأمراض المولدة اجتماعيًّا»، التي من خلالها يتشكل انغماس الناس اليومي في العالم وإسهاماتهم في بنائه؛ يقترح روزا تفسير هذا الجانب الأساسي من حياة الإنسان من خلال مصطلحات نظرية الرنين.

خذ في الحسبان، على سبيل المثال، إعادة إنتاج عدم المساواة الاجتماعية في الأنظمة التعليمية، التي يعيشها «الفائزون» بوصفهم «مضخمات صدى»، ويعيشها «الخاسرون» بوصفهم «مناطق اغتراب». يتجلى التوزيع غير المتكافئ للموارد في الفجوة بين «الصدى الاستعدادي» و«الاغتراب الاستعدادي»، وهو سبب ونتيجة لعدم المساواة الاجتماعية. «عدم تكافؤ فرص المشاركة في مجالات الرنين الاجتماعي» (خاصة في مجالات؛ مثل: السياسة، والعمل، والمدرسة، والطبيعة، والفن) مدى تغلغل أنماط التقسيم الطبقي في المجالات الرئيسية في حياتنا. وفقًا لروزا، من الأمثلة الصارخة على ذلك الدستور الجندري للواقع الاجتماعي. في الثقافات الغربية، تميل حساسية الرنين إلى الارتباط بالسمات «الأنثوية» (مثل: التعاطف، والعواطف، والتأثيرات، والرعاية)، في حين تميل الهيمنة إلى الارتباط بالسمات «الذكورية» (مثل: العقلانية، والوسيلة، والمنفعة، والمنافسة). بالنسبة لروزا؛ فإن نظرية الرنين ودراسات النوع الاجتماعي -بعيدًا عن كونها غير متوافقة- يمكن (بل وينبغي) أن يتم تضافرها.

التأمل التاسع: يلاحظ روزا أن التوزيع غير المتماثل للموارد يتجلى في الفجوة بين «الصدى الاستعدادي» و«الاغتراب الاستعدادي». ومع ذلك، قد يعترض المرء على أن بحثه لا يوفر سوى القليل من التحليل المتعمق لمدى تشكل الموارد الاجتماعية بشكل تقاطعي. الادعاء بأن التوزيع غير المتكافئ للفرص الخاصة بالرنين هو السبب والنتيجة من عدم المساواة الاجتماعية لا يأخذنا بعيدًا في هذا الصدد. إن معظم -إن لم يكن كل- القوى الاجتماعية ذات الأهمية الفاعلية و/أو الهيكلية الكبرى هي أسباب وعواقب للترتيبات التاريخية التي تندرج فيها. على الرغم من الدور المحوري الذي تؤديه الفرص الخاصة بالرنين من حيث تحديد نوعية حياة الناس، فإن آفاقهم (وبالتالي المسارات الشخصية) تتشكل بشكل عميق من خلال متغيرات اجتماعية رئيسية مختلفة؛ مثل: الطبقة، والعرق، والجنس، والعمر، والظروف الاجتماعية، والقدرة. ويحتاج نهج روزا متعدد الطبقات إلى مزيد من التطوير، مع الاعتراف بأن الفرص الخاصة بالرنين تتوقف في الوقت نفسه على العديد من الفرص. المتغيرات الاجتماعية، ولا يمتلك أي منها احتكارًا حتميًّا على الآخر. وتتوقف قوة الرنين على قوة الظروف الاجتماعية التي يتم من خلالها تعزيزها أو تقويضها.

- تحرير؟:

قد تبدو نظرية الرنين معادية للتحرر، نظرًا لأنها تميل إلى تصوير الخاصية السلبية لـ «التأثر بشيء ما». بعدّها فضيلة أساسية، في حين تقلل فعليًّا من قيمة الاستقلالية وترفض استخدامها كمقياس لقياس جودة العلاقات الاجتماعية. يؤكد روزا أن هذا الادعاء يستند إلى سوء فهم للتجارب المثقلة بالرنين. ويؤكد أن الرنين يشمل كلًّا من «التأثير» و«الحركة ⟵» [كذا]. عند تجربة الرنين، لا يتم لمسنا وتحريكنا (عاطفة) فحسب؛ بل نتمتع أيضًا بالكفاءة الذاتية، الأمر الذي يعني أننا قادرون على لمس وتحريك شخص آخر (e ⟵ حركة). الرنين ليس «عملية سلبية بأي حال من الأحوال»؛ بل هو بالأحرى عملية نشطة تتطلب درجة صحية من الاستقلالية من جانب المشاركين فيها. يشعر روزا بالقلق من التفسيرات العقلانية الضيقة للاستقلالية، «بمعنى الحكم الذاتي الأخلاقي الكانطي أو حتى بمعنى الحكم الذاتي (المتعة، أو الأداتية، أو السياسية) لأشكال الحياة». . هذه الأطر العقلانية «أحادية الجانب وغير معقدة»، الفشل في توفير «معيار معياري موثوق لحياة جيدة». إن محاولة تجميع مثل هذا المعيار تتعلق بشكل ثانٍ من سوء الفهم الذي تعارضه روزا.

ودفاعًا عن النهج الشمولي، يؤكد روزا أن «تجارب الإنجاز الأسمى والسعادة تتميز دائمًا بلحظة فقدان الاستقلالية»، خاصة عندما يكون الشخص غارقًا في فكرة أو قطعة من الإبداع الفني أو الطبيعة أو شخص آخر. الرنين يحتوي على «عنصر تحويلي» الذي يتجاوز «قدرتنا على الحكم الذاتي». يحدث الرنين عندما نواجه شيئًا «يتحدث إلينا». ومع ذلك؛ فإن السعي إلى الاستقلال الذاتي قد يقوض هذه الإمكانية التحويلية، على الأقل إذا كان الدافع وراء هذا المسعى هو السعي إلى «الكفاءة الذاتية الذرائعية بمعنى الهيمنة والسيطرة».. «برنامج التوسيع الدائم لنطاق العالم، الذي يعكس إرادة الإنسان في ممارسة السلطة، مدفوع بمحاولة تجميع «الرغبة في الاستقلال الذاتي»، وبلغت ذروتها في ترسيخ ممارسات الهيمنة وهياكل الهيمنة. في حين أن «البصيرة العلمية، والهيمنة التكنولوجية، والقوة الاقتصادية تزيد من توسيع مجالات وإمكانيات تقرير المصير الفردي والجماعي»، فإن لها ليس فقط عواقب تمكينية؛ بل أيضًا مثبطة للقوة، لأنها «تضم أيضًا خطر انزلاق العالم إلى الصمت، وبالتالي فقدان الصدى». باختصار، روزا يدرك «جدلية التنوير» و«ازدواجية الحداثة».

التأمل العاشر: يؤيد روزا بشكل صريح وبشكل لا لبس فيه ما يصفه بـ «الوحدوية المعيارية»، استنادًا إلى الاقتناع بأن «الرنين» يشكل العنصر الأساسي للوجود الإنساني بامتياز. وعلى هذا الأساس؛ فإن البشر هم في الأساس مخلوقات تبحث عن الرنين. تعتمد مستويات السعادة والإشباع التي يمكنهم تحقيقها على جودة تجارب الرنين الخاصة بهم. ومع ذلك؛ فإن المشكلة الرئيسية في نهج روزا هي أنه يفترض رجحان الرنين «الصحي» بدلًا من إثباته. ووفقًا لهذا التفسير؛ فإن جميع أشكال الرنين «الآلية» طفيلية على أشكال الرنين «الأصلية». وبعبارة أخرى، تجسيد الرنين هو انحراف مرضي للبحث الأصيل عن تحقيق الرنين على غرار «الوضع الكلامي المثالي» لهابرماس، يمكن للمرء أن يتخيل «وضع صدى مثالي»، يسمح للجهات الفاعلة البشرية أن تعيش حياة مُرضية من خلال إطلاق إمكاناتها التحررية. ومع ذلك؛ فإن المشكلة في هذه «الحجة المشتقة» هي أنها تقلل من تقدير المدى الذي تكون فيه الديناميكيات الذرائعية والاستراتيجية والتجسيدية دائمًا جزءًا من عوالم الحياة

البشرية؛ أي قبل أن يتم استعمارها من قبل القوى النظامية. الرومانسية الاجتماعية الوجودية، التي تصور عوالم الحياة البشرية على أنها عوالم خالية من السلطة ومن الذاتية المتبادلة، لا تقل إشكالية عن القدرية الاجتماعية الوجودية التي تفترض أن جميع أفعال الإنسان مدفوعة في النهاية بالصراعات التنافسية على السلطة والشرعية. يحتاج علم الاجتماع الشامل للعلاقات العالمية إلى دعم الواقعية الاجتماعية الوجودية، التي تعترف بالوجود المتزامن للأوجه المشرقة والمظلمة للإنسانية في جميع أشكال الحياة الاجتماعية، على الرغم من خصوصيتها التاريخية.

• قوة؟:

وقد يثير المرء التساؤل حول ما إذا كان النهج الذي يتبناه روزا، في أفضل تقدير، يقلل من أهمية التوزيع غير العادل للموارد، أو في أسوأ الأحوال، يظل عاجزًا عن السلطة. تتعلق هذه القضية بالطرق المتعددة التي تتخلل بها علاقات القوة مجالات الرنين. يعترف روزا بأنه لا يزال يتعين كتابة كتاب عن العلاقة بين القوة والرنين. وهو يعترف أيضًا بأن «علاقات القوة هي عنصر تأسيسي للواقع الاجتماعي». نقد شامل لشروط الرنين، إذا كان ملتزمًا بالكشف عن إشكالية «الميول التشييئية والتغريبية للأشكال الاجتماعية»، لا يمكن أن يتهرب من مهمة فحص الدرجة التي تؤدي بها السلطة دورًا محوريًّا في بناء أي مجتمع إنساني. بالنسبة لروزا، من الواضح أن القوة والرنين مرتبطان بشكل لا ينفصم. في الواقع، ونظرًا لإصرارها على إمكانية تحرير الإنسان، فإن نظرية الرنين تهدف إلى تزويد الضعفاء بالكفاءة الذاتية.

بالاعتماد على أعمال ماكس فيبر وهانا أرندت، يقترح روزا التمييز بين «السلطة» و«الهيمنة» و«العنف». في حين أن مصطلح «العنف» يشير إلى « علاقة اجتماعية مثيرة للاشمئزاز، فإن مصطلحيْ «السلطة» و«الهيمنة» اللذان يعتمدان، جزئيًّا على الأقل، على علاقات الرنين. تعتمد أنظمة الهيمنة الفعالة على الموافقة التي يمنحها أولئك الذين يتم التحكم بهم، الأمر الذي يؤدي إلى «علاقة حوارية بدائية»، كما هو موضح بشكل مشهور في جدلية السيد والعبد لـهيغل. . بالمعنى الفوكوي، قد يتساءل المرء عما إذا كانت "القوة يمكنها توليد الرنين أو إجباره أو إعاقته ". ولا شك أن العنف والقمع يمكن أن يعيقا الصدى، الأمر الذي يؤدي إلى «الاغتراب البغيض». من أجل ظهور علاقات محملة بالرنين، يجب أن يكون الناس قادرين على «الحب وفقًا لرغباتهم». . الرنين إذن، هو «تجربة جسدية حسية مباشرة، ومستدامة معرفيًّا، وشرعية، ومتسامية».

بالنسبة لروزا؛ فإن مسألة ما إذا كانت العلاقات العالمية صامتة أو رنانة هي مسألة سياسية. خذ في الحسبان سياسة اللغة، أو سياسة التاريخ، أو سياسة الذاكرة، أو سياسة الهوية؛ فكلها تعتمد على «أحاسيس خاصة بالرنين». عند تعبئة الفاعلين الاجتماعيين لمشاريعهم الخاصة. في الأنظمة الديمقراطية، تدير الخلافات السياسية عادة عن طريق تفعيل وتكثيف واستغلال الحساسيات الخاصة بالرنين. لا يمكن للحملات السياسية أن تكون ناجحة إلا إذا نجحت في تقديم نفسها على أنها «مهمة للحفاظ على مجالات الصدى»؛ لأن القوة التحويلية للأولى مستمدة من الطاقة التحفيزية للأخيرة. لا توجد حركات اجتماعية بدون سياسة صدى.

التأمل الحادي عشر: كما ذكرنا أعلاه، يحتاج علم الاجتماع النقدي للعلاقات العالمية إلى قبول أن

القوة والرنين مرتبطان بشكل لا ينفصم. ومع ذلك، يجب أيضًا الاعتراف بأن الحياة الاجتماعية تشكل من خلال العديد من الأشخاص صراعات لا يمكن لأي منها أن يدعي أنه يمتلك الوضع التأسيسي لـ «العداء في اللحظة الأخيرة». إن النضال من أجل الصدى أمر حيوي ليس فقط للطرق المتعددة التي نتنقل بها في الكون الاجتماعي، ولكن أيضًا، بمعنى أوسع، للتطورات التاريخية الكلية، التي تمتلئ بالتوترات والتناقضات. ومع ذلك؛ فإن الأمر نفسه ينطبق على أنواع أخرى مختلفة من الصراع (المحملة بالصدى): الاجتماعي، والسياسي، والجنسي، والاقتصادي، والثقافي، والعرقي، والديني، والإقليمي، والعسكري، والأيديولوجي، والمعرفي، والعلمي، والتكنولوجي -على سبيل المثال- لا الحصر. في أعقاب التحولات النموذجية الرئيسية التي حدثت في النظرية النقدية على مدى العقود الماضية، يمكن للمرء أن يضيف العديد من النضالات «التأسيسية» إلى القائمة: النضال من أجل التحرر من الأيديولوجية والسيطرة البرجوازية (أدورنو)، النضال من أجل الديمقراطية التداولية والتواصل غير المشوه (هابرماس)، النضال من أجل الاعتراف (هونيث)، النضال من أجل الحق في التبرير (فورست)، النضال من أجل بناء أشكال الحياة التحررية (جايجي)، النضال من أجل تقويض أنظمة الحكم. السلطة (سار)، والصراع على الرنين (روزا). وبالنظر إلى تعدد النضالات التي تشكل التنمية البشرية؛ فإن الدعوة إلى «الواحدية المعيارية» التي -في حالة روزا، تشير إلى أن جميع النضالات الاجتماعية، في نهاية المطاف، مدفوعة بالصراع المكون للأنواع من أجل الرنين- تبدو، في أحسن الأحوال، اختزالية، أو في أسوأ الأحوال، أحادية الحتمية. غير سياسي؟

قد يشير النقاد إلى أن نظرية الرنين، في أحسن الأحوال، «غير ذات أهمية سياسية»، أو في أسوأ الأحوال «غير سياسية». يعترف روزا بأن علم اجتماعه للعلاقات العالمية لا يتبع أجندة سياسية متميزة. ومع ذلك فهو يؤكد أن مفهوم الرنين يمكن أن يكون بمثابة بوصلة معيارية للجهات الفاعلة المشاركة في الصراعات السياسية المعاصرة، الأمر الذي يتيح معيارًا للممارسات الفردية والجماعية.

على سبيل المثال، يتمثل أحد الأهداف المركزية للسياسة البيئية في ضمان ألا تكون التفاعلات البشرية مع البيئة الطبيعية مستنيرة أخلاقيًّا فحسب؛ بل موجهة نحو الصدى أيضًا. تبدو الحياة تستحق العيش فقط إذا كانت بيئتنا لها صدى معنا ونحن نتوافق مع بيئتنا. قد يؤدي هذا أيضًا إلى الدفاع عن «أخلاقيات الرنين فيما يتعلق بجميع الجوانب الموضوعية والمعيارية والذاتية للوجود الإنساني».

والمثال المفيد الآخر هو سياسة العمل. ولكي تكون هذه السياسة تقدمية، لا ينبغي أن تقاس جودة العمل من حيث الكفاءة والإنتاجية بشكل حصري، ناهيك عن الأرباح المستمدة منها. بدلًا من ذلك، يجب أن يأخذ في الحسبان حقيقة أن العمل يشكل أحد المجالات الأساسية للرنين، الأمر الذي يمكّن البشر -ما لم تهيمن عليهم علاقات الاغتراب- من تطوير إمكاناتهم الهادفة والتعاونية والإبداعية. وبالتالي، يمكن فهم نظرية الرنين على أنها نهج ينتقد الرأسمالية، إن لم يكن يعارضها، خاصة عندما تواجه ضرورات تعظيم الربح.

وتدعم نظرية الرنين إعادة بناء الديمقراطية. وهي تفعل ذلك من خلال الإصرار على أن السياسة

-بعيدًا عن كونها غير قابلة للاختزال في «مجال صراع المصالح، وتنظيم الصراع وإنفاذ الحقوق»- يمكن أن تكون بمثابة «أداة لتكييف المؤسسات الرسمية ذات الهياكل الأساسية التكوينية وعالم الحياة المنقسم». في مواجهة التناقضات المتأصلة في الرأسمالية، يدعو روزا إلى الحد من «توجهها التنافسي» وإدخال «الدخل الأساسي غير المشروط (الممول من خلال ضريبة الميراث)». مثل هذا التغيير الجذري في الاتجاه سوف ينطوي على تحول نموذجي من «منطق التكثيف»، الذي تمليه الاستراتيجيات الإدارية وضرورات السوق، إلى «حساسية محددة الصدى»، مدفوعة بالمحاولة المستمرة لتمكين الناس من عيش حياة مرضية، على أساس من الكرامة والتضامن وازدهار الإنسان.

التأمل الثاني عشر: يؤكد روزا أن مفهوم الرنين يمكن أن يكون بمثابة بوصلة معيارية للجهات الفاعلة المشاركة في الصراعات السياسية المعاصرة، وتوفير معيار للممارسات الفردية والجماعية. لكن المشكلة في هذا الافتراض هي أنه ضيق للغاية وواسع للغاية في الوقت نفسه. إنه ضيق للغاية من حيث أنه يعطي الأولوية لـ «الرنين» على استبعاد العناصر الأساسية الأخرى للحياة الاجتماعية، مفترضًا أن الأول هو القوة الدافعة النهائية وراء تطور الأخير. إنه واسع جدًّا بحيث يحصل المرء على انطباع بأن الرنين هو مفهوم مرن لدرجة أنه يمثل كل شيء ولا شيء. حتى لو شاركنا افتراض روزا بأن جميع الجوانب الرئيسية للوجود الإنساني يتخللها البحث اليومي عن الصدى، فليس من الواضح أي النضالات الاجتماعية المحددة يجب أن تحظى بالأولوية للمساهمة في بناء أشكال الحياة التحررية. في هذا الصدد،(أ) يشكل الحقل التأسيسي مجموعة حضارية من الظروف ذات البنية العلائقية التي يعد وجودها ضروريًّا لنشوء النظام الاجتماعي. (ب) يمثل الحقل العرضي مجموعة مجتمعية من الظروف ذات البنية العلائقية التي من الممكن وجودها في ظل ظهور النظام الاجتماعي. (ج) يشير الحقل الزائل إلى مجموعة تفاعلية من الظروف المنظمة علائقيًّا التي لا علاقة لوجودها إلى حدٍّ كبير بنشوء النظام الاجتماعي.

يمكن القول إن الصراعات الاجتماعية التي شكلت، ولا تزال تشكل، مسار التاريخ البشري هي تلك التي تقع في المجالات التأسيسية. على النقيض من ذلك؛ فإن تلك المضمنة في الحقول العرضية والزائلة هي -في المخطط الكبير للأشياء- أقل أهمية، لأنها لا تدعم أنظمة الهيمنة التي يتم من خلالها الحفاظ على التوزيع غير العادل للموارد. من الصعب أن نتخيل حركة اجتماعية معينة، أو موضوعًا جماعيًّا، أو حزبًا سياسيًّا، أو أيديولوجية معاصرة تعلن أن سبب وجودهاهو «النضال من أجل الرنين». هذا لا ينفي أن البحث عن الرنين أمر بالغ الأهمية لعوالم حياة الناس. ومع ذلك، يجب أن ندرك أنه -بسبب وجودها شبه الدائم في جميع جوانب الحياة الاجتماعية تقريبًا، وليس على الرغم من ذلك- ليس مرشحًا صالحًا لمشروع تحرري طويل المدى.

- عَرَضِيّ؟:

يمكن القول إن استخدام روزا لمصطلح «الرنين» هو استخدام «نظري وفلسفي وتجريدي» للغاية. إذا كان الأمر كذلك؛ فإن أهميته لحياة الناس اليومية تبدو محدودة إلى حدٍّ ما. وبالتأمل في صحة هذا الاعتراض، يدعي روزا أن عدم توافر الرنين الأساسي يعني أنه من المستحيل فهم تعقيده بطريقة شاملة.

على أية حال؛ فإن مفهوم الرنين «يبدأ في الانهيار إذا حاول المرء تثبيته فلسفيًّا». . بما أن الرنين يشتمل على «واقع تجريبي فوري»، لا يمكن أن يكون أكثر صلة بحياتنا. وينطبق الشيء نفسه على الاغتراب. «تشكل لحظات الرنين وتجارب الاغتراب أقطاب التوتر والقوى الدافعة التحفيزية لوجودنا اليومي في العالم». تتجلى المركزية الاجتماعية للرنين في حقيقة أن جميع البشر على دراية بتجارب الرنين ويعتمدون عليها. بعدِّه ثابتًا أنثروبولوجيًّا، يعد الرنين جزءًا لا يتجزأ من حياة الإنسان. جميع البشر يعملون وفق «نمط الرنين الاستعدادي»، تمامًا كما يختبرون درجات مختلفة من «الاغتراب الطبعي».

في كل مرة «إحجام التصرف»يتم تحفيز فينا -خاصة عندما نختبر عدم الرضا أو التعاسة أو الرفض- فنحن نواجه «فقدان الرنين». أو على الأقل «توقعات صدى مخيبة للآمال» هناك أمثلة لا حصر لها توضح هذا النوع من السيناريوهات: الملل، والمحادثة المملة، وانعدام التواصل بين الأشخاص، والعمل المجهد، والطقس السيئ، واليأس، والاكتئاب -على سبيل المثال- لا الحصر. وبطبيعة الحال، يطور الناس ويعتمدون على آليات الدفاع عند التعامل مع التحديات الصعبة -وغير السارة في كثير من الأحيان- التي يواجهونها في حياتهم. «أسلوبهم اليائس في التعامل مع الحياة اليومية لقد أصبح، بالنسبة للكثيرين، منتشرًا جدًّا لدرجة أنه تم تطبيعه، وبالتالي رفعه إلى وضعه الافتراضي عند التعامل مع المشكلات اليومية -خاصة عندما ينظرون إلى بيئتهم على أنها «صامتة، باردة، غير مبالية، أو معادية». . ومع ذلك، بالنسبة لروزا، ليس هناك شك في أن «عالم أفضل أمر ممكن»، والأهم من ذلك أن «مقياسه الرئيس لم يعد هو الهيمنة والسيطرة بل الاستماع والإجابة»- وهذا في النهاية ليس اغترابًا بل صدى.

التأمل الثالث عشر: روزا على حق في إصراره على أن علم اجتماع العلاقات العالمية الذي يركز على الصدى يرتكز على تجارب الناس اليومية. إن عدم وجود الرنين المحتمل أو الفعلي يجعل نقد العلاقات الاجتماعية التي تتخللها القوة الضارة للاغتراب الإنساني أكثر إلحاحًا. ليختتم كتابه بالملاحظة الختامية بأن «عالم أفضل ممكن» وأن «مقياسها الرئيسي لم يعد هو الهيمنة والسيطرة بل الاستماع والإجابة». مع ذلك، هي نهاية ضعيفة ومخيبة للآمال إلى حدٍّ ما لعمل كبير يمكن عدّه تحفة روزا الفنية. من المسلم به أن إحدى القوى الدافعة الرئيسية وراء النظرية النقدية هي الاقتناع بإمكانية وجود عالم آخر؛ أي عالم اجتماعي لا يدعمه التوزيع العادل للموارد فحسب، بل أيضًا من خلال حاجة الناس ودافعهم لتحقيق الذات والتحول الذاتي. إن مثل هذا العالم البديل سوف يرتكز على المصالح العالمية التي نتقاسمها كأعضاء من النوع نفسه، وليس على المصالح الخاصة التي نسعى إليها كأعضاء في مجموعات اجتماعية أو كأفراد. لكي تكون النظرية النقدية للرنين تحررية حقًّا، يجب ألا تكون حساسة للسياق فقط، مع الأخذ في الحسبان حالات الطوارئ المنظورية الناشئة عن المعيارية والذاتية، ولكنها أيضًا متعالية عن السياق، وملتزمة بدعم القيم والمبادئ التي يمكن تعميمها بحيث يمكن تقاسمها من قبل الجميع، وليس من قبل بعض أفراد البشرية. يعد الرنين جزءًا أساسيًّا من هذه الرحلة، ولكنه ليس الهدف النهائي بأي حال من الأحوال.

الحادي عشر- استخلاصات ونتائج ختامية:

١- «تزامن غير المتزامن» تشيرهذه العبارة من وجهة نظر روزا إلى نوع من الاتجاه للتاريخ: فهي تفترض أن لديك أشياء تنتمي إلى عصر سابق وأشياء تنتمي إلى عصر لاحق. أي إننا وصلنا إلى نهاية فكرة التاريخ وهو يمضي قدمًا، الأمر الذي يعني أنه لم يعد لديك تزامن غير متزامن، ولكن لديك فقط اختلافات. لذا؛ فإن بعض الأشخاص يتعرضون لضغط كبير من الوقت بينما لا يتعرض الآخرون لذلك.

٢- تسارع الحياة -زيادة وتيرة الحياة- هو نفسه بالنسبة لجميع طبقات المجتمع. وهو بطبيعة الحال على المستوى العالمي هذا صحيح جدًّا أيضًا، عندما تكون لديك عمليات تحديث. التسريع هو في الأساس جوهر التحديث. على سبيل المثال، قضيت للتو وقتًا أطول في الصين وهناك ترى الأمر وكأنه جنون تقريبًا. لديك منطق المنافسة والتسريع، لذا يعرف الناس هناك على الفور ما أتحدث عنه. ولا يقتصر الأمر على مستوى نخبة صغيرة فحسب؛ إنها شاملة جدًّا. وبالفعل، الأمر نفسه ينطبق على كوريا واليابان والبرازيل وأماكن أخرى في أمريكا اللاتينية. وبطبيعة الحال، هناك بعض الأماكن، قد يفكر المرء في بعض المناطق في أفريقيا، حيث لا ينتشر هذا التغيير في الهياكل الزمنية على نطاق واسع، وبالتالي أسميها «واحات»، حيث لم تترسخ قوى التسارع هذه بعد. لذلك يقرر روزا إن التسارع هو ظاهرة عالمية: حيثما توجد عمليات العولمة أو التحديث هذه تجد التسارع. لن تجد دائمًا الفردانية، أو تقسيم العمل، أو التحول إلى الديمقراطية، وفي بعض الأحيان لا تكون هذه العمليات رأسمالية بشكل واضح، ولكن التغيير في الهياكل الزمنية هو السمة الأكثر انتشارًا للحداثة.

٣- هناك دائمًا شرائح من السكان -وهذا يختلف من بلد لآخر- لا تعاني حقًّا من ضيق الوقت. ما يزعمه روزا هو أنه عندما تنظر إلى الطبقات الاجتماعية، تجد ثلاث طبقات مختلفة. الطبقة الأولى، والتي يمكن أن نطلق عليها النخب ولكنها في الواقع الطبقة الوسطى، استوعبت بالكامل منطق التسريع هذا. لذلك: توفير الوقت هو توفير المال. إن منطق المنافسة، على وجه الخصوص، هو الذي استوعبوه، والمنافسة ترتبط دائمًا بالزمنية: «الوقت نادر، فلا تضيعوه». بالنسبة للطبقة الثانية، في أسفل السلم الاجتماعي، لا يكون ضغط الوقت داخليًّا إلى حدٍّ كبير؛ بل يأتي من الخارج. وبطبيعة الحال، ينطبق هذا على معظم ظروف العمل: المتاجر في الشركات، ومواقع البناء، وصناعات الرعاية، وما إلى ذلك. هناك شريحة ثالثة من السكان، سمها «مستبعدة بقوة» أو «متباطئة بقوة». إذا كنت عاطلًا عن العمل أو نحو ذلك، فقد يكون لديك الكثير من الوقت بين يديك، ولكن حتى هذا ليس صحيحًا دائمًا. سيعتمد الأمر على ما تفعله من أجل لقمة العيش، سواء كنت مريضًا أو إذا كنت مكتئبًا، وما إلى ذلك. لكن هذا النوع من التباطؤ القوي أو القسري هو نوع من التقليل من قيمة الوقت الذي لديك في ذلك الوقت. الوقت الذي لديك ليس له أي قيمة والمشكلة أنك حتى حينها تشعر بضغط التسارع، لأنك

تشعر وكأنك تتأخر أكثر فأكثر، وأنه من المستحيل اللحاق. ولهذا السبب يزعم أن التسارع هو قوة شمولية تقريبًا، فأنت تشعر بالضغط أينما كنت.

٤- الرنين لا يتعلق فقط بموقف ذاتي تجاه العالم، ولهذا فهو يختلف عن الحركة الذهنية وما إلى ذلك. الرنين هو علاقة ذات اتجاهين، لذا فهو يعتمد على ما يرتبط به، وهو نمط الوجود في العالم. وهذا الأمر لا يعود إلى الأفراد ليقرروه. لذا، أريد حقًّا أن أحولها إلى فئة مؤسسية وأيضًا إلى مقياس مؤسسي تقريبًا: كيف ينبغي إنشاء المؤسسات؟ وكيف تقوم المؤسسات بترسيخ هذا المفهوم في أثناء التنشئة ما يريد أن يؤكده روزا هو أن نمط وجودنا في العالم، وطريقة علاقتنا بالعالم، هي، ليست فاشلة؛ بل لدينا علاقة مفيدة للغاية مع العالم. وقد أطلق ماكس شيلر، وتبعه ماركوز، على الحداثة اسم الموقف البروميثوسي. يصبح العالم نقطة عدوان: نريد استكشافه علميًّا، نريد السيطرة عليه تقنيًّا، نريد أن أحكمه بالقانون، وما إلى ذلك. إنه يتعلق بالعالم من أجل جعله قابلاً للتحكم، ويمكن التنبؤ به، وما إلى ذلك. هذا يجب أن يتغير. لكن هذه الطريقة التي نتعامل بها مع العالم، والطريقة التي نوجد بها في العالم، ليست قضية فردية، بل هي قضية مؤسسية عميقة.

٥- يحاول روزا القيام بالتفكير فيما يمكن أن يكون طريقة غير مغتربة للتواصل مع الناس، والأشياء، والنفس، وما إلى ذلك. كما يحاول إعادة بناء هذا من خلال النظر إلى تقاليد النظرية النقدية. كان لدى جميع المنظرين النقديين الأوائل شعور قوي بالعزلة؛ وحتى لو لم يستخدموا دائمًا المصطلح الدقيق، فسيكون لديهم ما يعادله مثل «التشيؤ» أو «العقلانية الأداتية». وكان لديهم جميعًا نوع من الحس المضاد، وطريقة مختلفة في الارتباط بالعالم، مثل «المحاكاة» في أدورنو، أو حتى «الهالة» في أعمال والتر بنيامين. الهالة مفهوم متناقض للغاية، لكنه كان يعني في الأساس أنه حتى مع الأشياء أو مع الطبيعة أو مع المناظر الطبيعية، يمكن أن تكون هناك طرق مختلفة للتواصل: إنها تنظر إليك، وتتحدث إليك، وتعبر بطريقة ما.

٦- جميع الثقافات لديها بطريقة أو بأخرى فكرة أن أماكن أو مساحات معينة لها صدى، أو كيانات معينة؛ مثل: الغابة، أو الحجر المقدس، أو أي شيء آخر. بل يذهب روزا أبعد من ذلك ويقول أنه ربما حتى تلك المحاور الثلاثة تعتمد ثقافيًّا لأن التمييز بين الاجتماعي والموضوعي، والمنتج، وما إلى ذلك، ربما ليس ضروريًّا بالفعل. في المجتمعات الروحانية، تجد دائمًا محاور صدى، على الرغم من أنها قد تكون مرتبة بشكل مختلف تمامًا. لكن هذا لا يزال قابلاً للتوفيق مع فكرة الرنين. ومع ذلك، لا نعرف ما إذا كانت فكرة الرنين ذاتها تتطلب ذاتًا مغلقة، أي ما إذا كان الذات والعالم ربما يجب أن يكونا مغلقين بطريقة ما لكي يصبحا أجسامًا رنانة. الأمر نفسه بالنسبة للأجساد المادية: إذا كان لديك آلة موسيقية، دعنا نقول الكمان، فإنها لن تصدر صوتها -أي يتردد صداها- إلا إذا كانت مغلقة بما يكفي ليكون

لها صوتها الخاص. لذا، لا بد من إغلاقه، ولابد من فتحه حتى يتأثر. إنه شكل محدد جدًّا من الانغلاق والانفتاح. ولهذا السبب روزا متردد بعض الشيء بشأن ما إذا كان من الممكن، على مستوى ما، وصف الثقافات الأخرى بسهولة من حيث الصدى، لأن العلاقات بين الذات والعالم قد تكون في بعض الأحيان أكثر مسامية. قد يكون هذا أحد المستويات حيث ربما يتعين علينا تعديل المفهوم من الناحية الثقافية، ولكن على المستوى الأساسي يعتقد أنه من الصحيح حقًّا أن جميع البشر، أينما ولدوا، يصبحون فقط فردًا، أو ذاتًا، أو موضوعًا، أو كيفما تسميها، من خلال عمليات الرنين.

٧- عند نقطة معينة يكون لدى البشر حاجة أساسية للرنين تمامًا كما لديهم حاجة أساسية للطعام هناك مشكلتان أو مفاهيم خاطئة حول مفهوم الرنين بشكل عام. الأول هو التفكير في الرنين بوصفه مجرد انسجام، كما لو أننا نقول إنه سيكون رائعًا عندما يكون كل شيء متناغمًا أو ساكنًا. لكن نقول دائمًا إن الانسجام التام ليس رنينًا على الإطلاق، لأنه من أجل الرنين يجب أن تكون هناك أصوات مختلفة. والثاني هو التمدد المفاهيمي، وهو فكرة أن جميع العلاقات يتم تفسيرها على أنها صدى. على سبيل المثال، إذا لكمتك وأنت رددت لي اللكمة وقلنا: «حسنًا، هذا هو الرنين». أؤكد دائمًا أن هذا ليس صدى: يرتبط الصدى بالانفتاح، والرغبة في التأثر والإجابة، لذا فهو شكل محدد جدًّا من العلاقة.على المستوى الأساسي، الدخول في الرنين، وتطوير الإحساس بمن أنت وما هو العالم خارج لحظات أو عمليات الرنين، هو شيء ينخرط فيه الجميع. يحتاج الناس إلى الاعتراف ويحتاجون إلى اللغة، بغض النظر عن نوعهم. الاعتراف أو اللغة الدقيقة التي يتحدثون بها بعد ذلك. هذا الأخير يعتمد تاريخيًّا. لذلك، هناك جانبان يوضحهما روزا. هناك حاجة أنثروبولوجية أو عنصر صدى، ولكن بعد ذلك الشكل المحدد الذي تتخذه، والحاجة المحددة والحساسيات المحددة لا يمكنك تفسيرها إلا تاريخيًّا، وهو ما يحاول روزا القيام به في الفصل الخاص بالحداثة، حيث يحاول العمل على مفهومنا الحديث عن الحب، على سبيل المثال. هو لا يدعي أن هذا المفهوم بالذات هو مفهوم أنثروبولوجي، ولا حتى العلاقة مع أطفالنا أو الفن أو الطبيعة. سواء كنت تعتقد أن هناك صوتًا للطبيعة، فهذا ليس أنثروبولوجيًّا، ولكنه مواصفات تطورت من هذه الحاجة الأنثروبولوجية الأساسية. إذًا، هو يعتقد أن الأمر هو نفسه عندما تفكر في اللغة؛ إذا فكرت في لغتنا، فسيتعين عليك بالطبع إجراء الكثير من المؤهلات التاريخية اعتمادًا على ما إذا كنت تتحدث عن اللغة السواحيلية أو العربية أو الألمانية، ولكن لا يزال بإمكانك التحدث عن الحاجة الأساسية أو القدرة على اللغة.

٨- مفهوم الرنين أكثر من مجرد أمر نفسي، إنه نوع من «الوسط». لدى تشارلز تايلور شيء مماثل في ذهنه في مناقشته للفلسفة الرومانسية من حيث «الفضاء الداخلي».. لا يمكن فهم

الرنين فقط على طول الخطوط البنائية -كما لو كان بإمكاننا بناؤه أو عرضه- فهو نوع من «الوسط». أما بالنسبة للموضوع النيوليبرالي والرنين المحفز: الشعور هو أن هناك خطأ ما في الذهاب إلى بالي أو دروس اليوجا، ولكن السؤال هو: ما الخطأ؟ دعونا نأخذ مثال المدير النيوليبرالي المثالي الذي يذهب إلى دروس اليوجا وإلى بالي في إجازة، والذي أعتقد أنني أستطيع أن أطرح نقطتين عنه. الأول يتعلق بالنزعة الأساسية، والنزعة تجاه العالم الذي تعمل فيه والذي ليس من اختيارك فقط: في حالة النيوليبرالي، فإن ما يفعله من أجل لقمة العيش في مجال الأعمال يتميز بموقف فعال للغاية. تجاه العالم وهذا يتعارض مع الرنين. لماذا؟ لأن الدخول في الرنين ينطوي على نوع من عدم معرفة متى يحدث، وعدم معرفة ما ستكون النتيجة. لذا، فهو يتطلب نوعًا من الانفتاح، وهو تصرف مختلف عن الذرائعية والتحسينية، موقف الترشيد الموجه نحو الكفاءة الذي يتعين عليك عادةً اتخاذه. الموقف الأساسي الذي تتخذه تجاه العالم كمدير نيوليبرالي هو موقف التشيؤ، ومن ثم تسعى إلى موازنة ذلك من خلال ما نسميه واحة الرنين، مثل دروس اليوجا. إذن، ما هو الخطأ في دروس اليوجا؟ المشكلة الرئيسية تتعلق بالفرق بين الرنين والعاطفة.. مثال آخر هو مشاهدة أفلام هوليوود الرائجة مثل تيتانيك، التي تتميز بأنها ميلودرامية للغاية. لنفترض أنني أبكي في النهاية ويسألني أحدهم: «أهو هذا ما تقصده بالرنين». أود أن أجيب بأن هذا ليس بالضبط ما يعنيه روزا بالرنين، هو فقط إحساس قوي داخل النفس. إنها ليست مواجهة الآخر، يرتبط العنصر الحيوي للرنين بهذا اللقاء مع الآخرالذي أختبر فيه تحولًا في نفسي، أختبر هذا الآخر الذي يحولني. وإذا كان لدي واحة فقط، على سبيل المثال، إذا كنت أتأمل مرة واحدة كل فترة، فهذا يشعر بالفراغ التام، وهذا ليس صدى. إنما غرفة الصدى. ربما ينطبق الأمر نفسه على الرحلة إلى بالي: فهي لا تتضمن حقًّا الاتصال بشيء يغيرك حقًّا؛ بل يتعلق الأمر فقط بنسيان الموقف الفعال الذي أجبر على اتخاذه لمدة محدودة.

٩- تؤدي الطقوس في الواقع دورًا قويًّا في تهيئة الظروف للرنين. هذا واضح جدًّا في الدين، ولكن أيضًا في حفلات الروك أو في ملاعب كرة القدم هناك إحساس شعائري واضح جدًّا. وهذا شيء نريد استكشافه في إرفورت، في مجموعة بحثية تسمى «الطقوس والرنين». الفكرة هي أن هذا يقودك إلى مزاج معين يسمي روزا هذه الشروط المسبقة محاور، ويتم تطوير هذه المحاور بمرور الوقت لأنها تصنع أيضًا تجربة احتمال حدوث صدى وإحساسك بالكفاءة الذاتية. العنصر الآخر المهم للغاية هو التصرف. لا يمكنك الدخول في لحظات الصدى أو علاقات الصدى هذه إلا إذا كان تصرفك تجاه العالم مترددًا: أن تكون منفتحًا لسماع المكالمة، والتأثر، ويجب أن يكون لديك توقع أنه يمكنك التواصل. ما أسميه الكفاءة الذاتية ليس نفسيًّا تمامًا. يتعلق الأمر بالتواصل مع هذه اللحظات وجعلها ممكنة، وهذا الموقف هو شيء يمكنك

العمل عليه بالفعل وهو ممتد بشكل مؤقت. لذا، لديك محاور الرنين، التي يتم تأسيسها بمرور الوقت وتحتاج إلى شكل معين من الاستقرار، ولديك تصرفات الرنين، وكلاهما ينطوي على استقرار طويل المدى. وبالمقارنة، فإن تجارب الرنين مؤقتة. ومع ذلك، أعتقد أنه من الخطأ افتراض أن الرنين يعني الوجود الكامل في هنا والآن. عندما تختبر الرنين حقًّا، فإن الأفق الزمني يتسع ويمتد؛ إنه الحضور المشترك للماضي والمستقبل. بمجرد أن تتناغم مع شيء ما، يبدو الأمر كما لو أن الماضي يتحدث إليك ومن خلالك إلى المستقبل. هذا هو التمدد الذي يجعلك تشعر كما لو أن الوقت يمر من خلالك. في الرنين، يتم إعادة ربط الماضي والحاضر بشكل مفيد.

١٠- إن أعظم رؤية يمكن الخروج بها من مفهوم الرنين هي طريقة للتغلب على الازدواجية المتناقضة بين نظريات الأصالة والهوية من ناحية، ونظريات الاختلاف ما بعد البنيوي من ناحية أخرى. لا يتعلق الرنين بالأصالة بمعنى أنني يجب أن أكون صادقًا مع نفسي أو أنه يؤكد أصالتي، لأنه يتضمن التحول: إنه الشعور الذي يستدعيه شيء مختلف هو الذي يحولني. وبهذا المعنى، فهو يناسب نظريات الاختلاف، ويزعم روزا أنه ليس مجرد اختلاف، لأنه يجب علي تطوير صوتي والإجابة على النداء. لذلك، يقع بالضبط بين هذين الاثنين. هناك عناصر من التنافر أو الاختلاف لا يمكن التغلب عليها. لكنني لا أستطيع الدخول في علاقة صدى إذا كانت، على سبيل المثال، فكرة أو تجربة. هذا مختلف تمامًا لدرجة أنني لا أستطيع الارتباط به. بالطبع، هناك أيضًا لحظات التنافر تلك المرتبطة بما أسميه النفور. من وجهة نظر روزا لا يوجد أي صدى سلبي. هناك تمييز واضح جدًّا، ويمكننا حقًّا أن نشعر به على الفور أو تعيد إنتاجه ظاهريًّا، بين التنافر والرنين.

١١- أن الأيديولوجيات السياسية لن تنجح إلا إذا وجدت محور صدى، وعليها أن تتطرق إلى هذا الأمر بطريقة ما. لكن بطبيعة الحال، سرعان ما تتحول الأيديولوجيات إلى نوع من غرفة الصدى. معظم الأيديولوجيات تعيش على الاستياء، والاستياء هو عكس الرنين. حتى أنك ترى هذا في الإيماءات، في الوجوه، وتسمعه في الأصوات: الموقف كله مثير للاشمئزاز تجاه العالم. لذلك، أعتقد أنه يمكننا التمييز بين الموقف الرنان والأيديولوجية التي ليست لها صدى، والتي هي نوع من غرفة الصدى المبنية على الاستياء إذا كنت تشعر أن لديك مجتمعًا قويًّا، وحياة نابضة بالحياة، فأنت لست قلقًا جدًّا من اضطرارك إلى الاستسلام. بالطبع، قد تكون هناك نقطة تفقد فيها صوتك، لكن هذا أبعد ما يكون عن الوضع الذي نحن عليه. نحن موجودون. إذا كانت لديك خبرة في مجتمع رنين، فلن تكون هناك مشكلة في استقبال الأجانب.

١٢- أخيرًا؛ الرنين هو ظاهرة متعددة الطبقات وهي ليست مجرد ظاهرة معرفية. على النقيض من تركيز هابرماس وفورست على الأسباب، وتماشيًا مع ويليام كونولي، هناك صفة

عميقة وجسدية تقريبًا للسياسة. فالرنين هو شيء متجسد على الدوام، وهو عاطفي لكنه لا يتحلل من العنصر المعرفي. وبالتالي؛ فإن العلاقات الرنانة تصنع أيضًا رنينًا بين العقلانية والعاطفية والجانب المتجسد. لذلك يجب أن يكون هناك نوع من التحكم العقلاني، وما حاول تطويره في الكتاب هو أنه لا يمكنك أن تكون متناغمًا إلا مع شيء مرتبط بتقييم قوي: شيء أنت مقتنع أنه من المهم حقًّا أن تتصل به، وبالتالي هناك بالطبع نوع من الفحص العقلاني.

المراجع

1- Micha Brumlik: Resonanz Oder: Das Ende der kritischen Theorie, Mai 2016 Resonanz oder: Das Ende der kritischen Theorie, https://www.blaetter.de/ausgabe/2016/mai/resonanz-oder-das-ende-der-kritischen-theorie.

2- Rosa Hartmut, Acceleration and Alienation. Towards a Critical Theory of Late-modern Temporality. Aarhus: NSU Press

3- Rosa Hartmut, The Idea of Resonance as a Sociological ConceptThe ideal of ever-fast, ever-more creates deep alienation. Theoretical Perspectives, July 09, 2018 .https://globaldialogue.isa-sociology.org/articles/the-idea-of-resonance-as-a-sociological-concept, 2010.

4- Rosa Hartmut: Beschleunigung: Wandel der Zeitstrukturen in der Neuzeit. 1. Aufl. Suhrkamp, Frankfurt am Main 2005, ISBN 3-518-29360-5.

5- Rosa Hartmut: (2015b [2005]). Social acceleration. A new theory of modernity. Trans. J. Trejo-Mathys. New York: Columbia University Press.

6- Rosa Hartmut, Social Acceleration: A New Theory of Modernity. Translated by Jonathan Trejo-Mathys. New York, Columbia University Press,2013.

7- Rosa Hartmut, Eine Resonanz Soziologie der Weltbeziehung. Berlin: Suhrkamp. Translated in English as Social Acceleration. A New Theory of Modernity (2013). The only book avail-able in Dutch by Rosa is Leven in tijden van versnelling. Een pleidooi voor resonantie (Boom 2016), which contains excerpts from Alienation and Acceleration (2010), as well as an epilogue based on Reso-nanz, 2016.

8- Rosa Hartmut, Eine Resonanz, Soziologie der Weltbeziehung. Berlin: Suhrkamp. Thijs Lijster, Robin Celikates & Hartmut Rosa,2019, Beyond the Echo-chamber: An Interview with Hartmut Rosa on Resonance and Alienation, Krisis, Issue https://archive.krisis.eu/wp-content uploads/2019/10/Krisis-2019-1-Thijs-Lijster-Robin-Celikates Beyond-the-Echo-Chamber.pdf?,2016.

9- Rosa Hartmut, Resonance: A Sociology of Our Relationship to the World. Translated by James C. Wagner. Cambridge: Polity Press, 2019.

10- Simon Susen; The Resonance of Resonance: Critical Theory as a Sociology of World-Relations?, International Journal of Politics, Culture, and Societyhttps://doi.org/10.1007/s10767-019-9313-6,13.

11- Simon Susen, The foundations of the social: Between critical theory and reflexive sociology. Oxford: Bardwell Press, 2007.

12- Simon Susen, Hermeneutic Bourdieu. In L. Adkins, C. Brosnan, & S. Threadgold (Eds.), Bourdieusianprospects London: Routledge,2017.

TAWASOL
For Studies & Cultural Awareness Foundation

ERTC
The Egyptian Research and Training Center

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences

The Egyptian Journal of Social and Behavioral Sciences (EJSBS)

An International Peer-reviewed Scholarly Journal

Published Twice Per Year

ISSN: 2682 - 2725

Issue No. 8

October 2023

Chief Editor
Dr. Abdel-Hamid Abdel-Latif

Editor
Dr.Mohammed Aboelenein